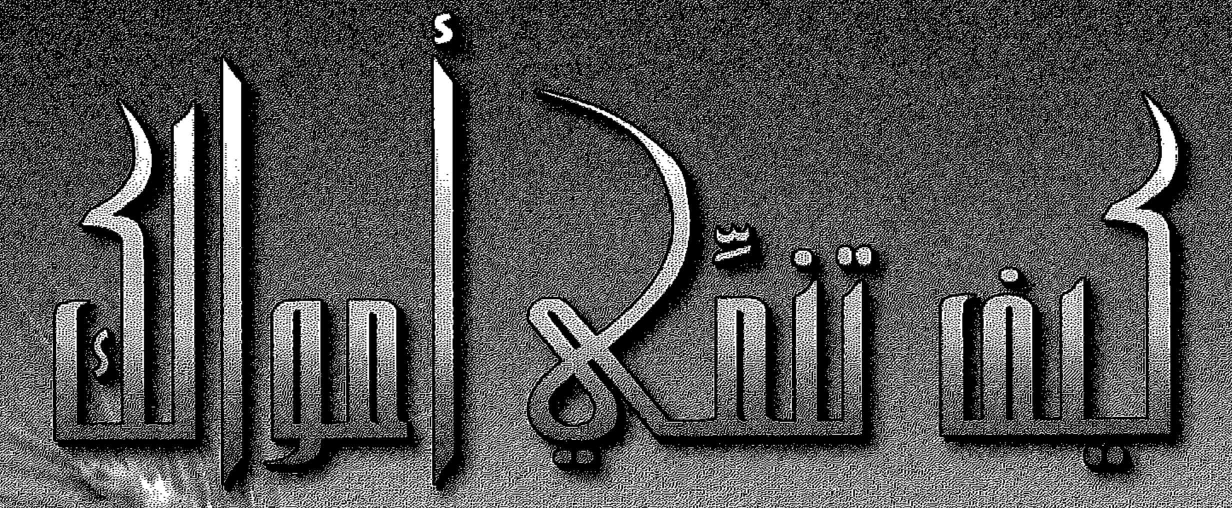
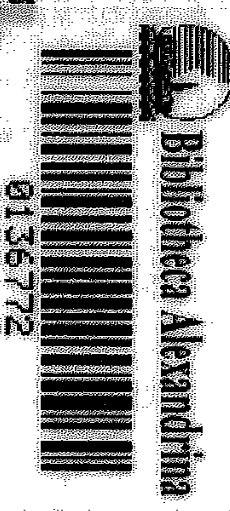
سلسلة تصدر عن المنتدى الإسلامي



تأليف

فيصل بن علي البعداني



كيف تنمي أموالك؟

إعداد

فيصل بن علي البعداني

ح مؤسسة صلاح محمد السليم، ١٤٢١هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

البعداني، فيصل علي (الرياض)

كيف تنمي أموالك

١١٢ ص؛ ١٤X ٢٠

ردمك: ٨ - ٢٩ - ٧١٨ - ٩٩٦٠

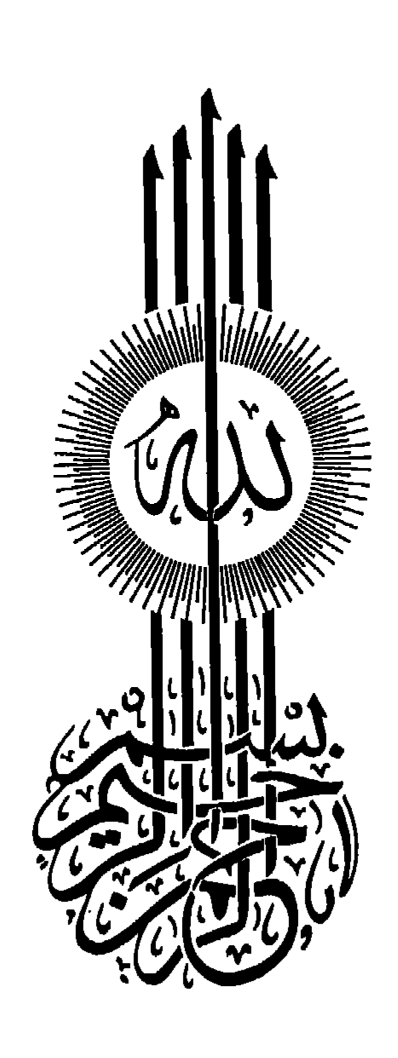
١ - الصدقات ٢ - الوعظ والإرشاد

أ - العنوان

ديوي ٦ ر٢١٢ ٢١/٣٩٤٢

رقم الإيداع: ٢١/٣٩٤٢

ردمك: ٨ - ٢٩ - ٧١٨ - ٩٩٦٠



المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أكرم خلق الله أجمعين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه، ومن سار على نهجه،واقتفى أثره إلى يوم الدين، وبعد:

فإن مما يدفع العبد للفضائل، ويزيد من مسارعته في الخيرات ومسابقته في الطاعات اطلاعه على مكانة العمل الذي يفعله، وفضائله، والثمار التي يجنيها من جراء قيامه به.

وبما أن الصدقة من أجلِّ الأعمال وأزكاها، وأكثرها نفعاً وفائدة للمتصدقين ولكثير من أفراد الأمة ومؤسساتها الخيرية والدعوية والعلمية على حد سواء؛ كانت هذه الرسالة التي تجلي في فصلها الأول فضائل الصدقة، وتوضح فوائدها، وتبين منافعها، وتبرز آثارها الحميدة في الدنيا والآخرة.

ونظراً لكثرة العقبات التي تمنع العبد من الصدقة، ووجود كثير من الأمور التي قد تحول بينه وبين قبول صدقته أو رفعة درجته وعظم أجره؛

كان الفصل الثاني من هذه الرسالة بعنوان: رسائل إلى المتصدقين، أُذَكِّر فيها بما يهيئ لقبول الصدقة، ويزيد من نفعها، وأحذر من أخطر عوائقها، وأحث على ما يضاعف أجرها، وأنبه على شيء من فقه إخراجها.

أسأل الله أن ينفع بها، وأن يجعلها عملاً مبروراً وسعياً مشكوراً، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الفصل الأول

فضائل الصدقة

فضائل الصدقة

المال مال الله - عز وجل -، وقد استخلف - تعالىٰ - عباده فيه ليرىٰ كيف يعملون، ثم هو سائلهم عنه إذا قدموا بين يديه: من أين جمعوه؟، وفيم أنفقوه؟، فمن جمعه من حله وأحسن الاستخلاف فيه فصرفه في طاعة الله ومرضاته أثيب علىٰ حسن تصرفه، وكان ذلك من أسباب سعادته، ومن جمعه من حرام أو أساء الاستخلاف فيه فصرفه فيما لايحل عوقب، وكان ذلك من أسباب شقاوته إلا أن يتغمده الله برحمته.

ومن هنا كان لزاماً علىٰ العبد - إن هو أراد فلاحاً - أن يراعي محبوب الله في ماله بحيث يوطن نفسه علىٰ ألأ يرىٰ من وجه رغَّب الإسلام في الإنفاق فيه إلا وبادر بقدر استطاعته، وألأ يرىٰ من طريق حرَّم الإسلام النفقة فيه إلا وتوقف وامتنع.

وإن من أعظم ما شرع الله النفقة فيه، وحثَّ عباده علىٰ تطلب الأجر فيه: الصدقة [1] التي شرعت لغرضين جليلين؛ أحدهما: سدُّ خَلَّة

---

(١) الصدقة هي النفقة التي يطلب بها الأجر، وتطلق علىٰ الفرض والنفل، إلا أن عرف الاستعمال في الشرع جرىٰ في الفرض بلفظ الزكاة، وفي النفل بلفظ الصدقة، انظر: المفردات، للراغب: ص (٤٨٠)، التوقيف علىٰ مهمات التعاريف، للمناوي: ص(٤٥٢، ٤٥٣).

المسلمين وحاجتهم. والثاني: معونة الإسلام وتأييده[١]. وقد جاءت نصوص كثيرة وآثار عديدة تبين فضائل وآثار هذه العبادة الجليلة، وتوجد الدوافع لدئ المسلم للمبادرة بفعلها.

وهذه الفضائل والآثار كثيرة جداً، يحتمل أن يفرد لها كتاب فضلاً عن أن ترسل في رسالة مختصرة، ولذا سيتم الاقتصار على أبرزها، وذلك فيما يأتي:

١ ـ علو شأنها، ورفعة منزلة صاحبها:

الصدقة من أفضل الأعمال وأحبها إلى الله عز وجل، يدل لذلك حديث ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ مرفوعاً: «وإن أحب الأعمال إلى الله سرور تدخله على مؤمن، تكشف عنه كرباً، أو تقضي عنه ديناً، أو تطرد عنه جوعاً»[٢]، وحديث: «من أفضل العمل: إدخال السرور على المؤمن: يقضي عنه ديناً، يقضي له حاجة، ينفس له كربة»[٣]. بل إن الصدقة لتباهي غيرها من الأعمال وتفخر عليها، يقول عمر بن

(١) انظر: جامع البيان، للطبري: (١٠/ ١٦٣)، أحكام القرآن، لابن العربي: (١/ ٢٣٠).

(٢) قضاء الحوائج، لابن أبي الدنيا: ص (٤٠)، رقم: (٣٦)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع: (١/ ٩٧)، رقم: (١٧٦).

(٣) شعب الإيمان، للبيهقي: (٦/ ١٢٣)، رقم: (٧٦٧٩)، وصححه الألباني في صحيح الجامع: (٢/ ١٠٢٥)، رقم: (٥٨٩٧).

الخطاب ـ رضي الله عنه ـ: « إن الأعمال تتباهى؛ فتقول الصدقة: أنا أفضلكم»[١].

وهذه الرفعة للصدقة تشمل صاحبها، فهو بأفضل المنازل كما قال ﷺ: « إنما الدنيا لأربعة نفر: عبد رزقه الله مالاً وعلماً فهو يتقي فيه ربه، ويصل فيه رحمه، ويعمل فيه حقاً؛ فهذا بأفضل المنازل. . . »[٢]. وهو صاحب اليد العليا، كما أخبر بذلك النبي ﷺ بقوله: « اليد العليا خير من اليد السفلى، واليد العليا هي المنفقة، واليد السفلى هي السائلة»[٣]، وهو من خير الناس لنفعه إياهم، وقد جاء في الحديث المرفوع: «خير الناس من نفع الناس[٤]، وهو من أهل المعروف في الآخرة؛ يدل لذلك قوله ﷺ: « أهل المعروف في الدنيا هم أهل المعروف في الآخرة»[٥].

ولا تقتصر رفعة المتصدق على الآخرة بل هي شاملة للدنيا، فمن جاد

---

(١) صحيح ابن خزيمة: (٤/ ٩٥)، رقم: (٢٤٣٣)، المستدرك، للحاكم: (١/ ٤١٦) وقال: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه».

(٢) جامع الترمذي: (٤/ ٥٦٢، ٥٦٣)، رقم: (٢٣٢٥)، وقال: «هذا حديث حسن صحيح»، وصححه الألباني في صحيح الترمذي: (٢/ ٢٧٠)، رقم: (١٨٩٤).

(٣) مسلم: (١/ ٧١٧)، رقم: (١٠٣٣).

(٤) شعب الإيمان، للبيهقي: (٦/ ١١٧)، رقم: (٧٦٥٨)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع: (١/ ٦٢٣)، رقم: (٣٢٨٩).

(٥) الأدب المفرد، للبخاري: ص (٨٦)، رقم: (٢٢١)، وصححه الألباني في صحيح الجامع: (١/ ٤٠٧)، رقم: (٢٠٣١).

ساد ومن بخل رذل، بل قال محمد بن حبان: «كل من ساد في الجاهلية والإسلام حتى عُرف بالسؤدد، وانقاد له قومه، ورحل إليه القاصي والداني؛ لم يكن كمال سؤدده إلا بإطعام الطعام وإكرام الضيف»[١]، والمتصدق ذو يد على آخذ الصدقة، بل إنه كما قيل: «يرتهن الشكر، ويسترق بصدقته الحر»[٢]، ولذا كان ابن السماك يقول: «يا عجبي لمن يشتري المماليك بالثمن ولا يشتري الأحرار بالمعروف»[٣]، وأوصى معاوية ـ رضي الله عنه ـ ابنه يزيد فقال: « يا بني، اتخذ المعروف منالاً عند ذوي الأحساب تستمل به مودتهم، وتعظم في أعينهم، وإياك والمنع فإنه ضد المعروف»[٤]، والصدقة من ركائز المعروف كما هو جلي.

٢ ـ وقايتها للمتصدق من البلايا والكروب:

صاحب الصدقة والمعروف لا يقع، فإذا وقع أصاب متكأً[٥]، إذ البلاء لايتخطى الصدقة، فهي تدفع المصائب والكروب والشدائد المخوفة، وترفع البلايا والآفات والأمراض الحالة، دلّت على ذلك النصوص، وثبت ذلك بالحسّ والتجربة.

---

(١) روضة العقلاء، لابن حبان: ص (٢١٤).

(٢) انظر: الآداب الشرعية، لابن مفلح: (١/ ٣١٠).

(٣) روضة العقلاء، لابن حبان: ص (١٩٥).

(٤) الآداب الشرعية، لابن مفلح: (١/ ٣١٠).

(٥) انظر: الآداب الشرعية، لابن مفلح: (١/ ٣١٠).

فمن الأحاديث الدالة على ذلك قوله ﷺ: «صنائع المعروف تقي مصارع السوء والآفات والهلكات»(١)، وقوله ﷺ في حديث أبي سعيد -رضي الله عنه-: «وفعل المعروف يقي مصارع السوء»(٢)، ومنها: حديث رافع بن خديج -رضي الله عنه- مرفوعاً: «الصدقة تسدُّ سبعين باباً من السوء»(٣)، وحديث أنس -رضي الله عنه- مرفوعاً: «إن الصدقة... وتدفع ميتة السوء»(٤).

(١) المستدرك، للحاكم: (١/ ١٢٤)، وصححه الألباني في صحيح الجامع: (٢/ ٧٠٧) رقم: (٣٧٩٥).

(٢) شعب الإيمان، للبيهقي: (٣/ ٢٤٤)، رقم: (٣٤٤٢)، وصححه الألباني في صحيح الجامع: (٢/ ٧٠٢) رقم: (٣٧٦٠).

(٣) المعجم الكبير، للطبراني: (٤/ ٢٧٤)، رقم: (٤٤٠٢)، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد: (٣/ ١٠٩)، وقال: «وفيه حماد بن شعيب، وهو ضعيف»، وأورده ابن حجر الهيتمي في الزواجر: (١/ ٣١٨، ٣١٩)، ضمن مجموعة أحاديث أفاد بأنها صحيحة إلا قليلاً منها فإنه حسن، والظاهر أن هذا الحديث حسن بشواهده، وانظر: المقاصد الحسنة، للسخاوي: (٢٦٠، ٢٦١)، رقم: (٦١٨)، كشف الخفاء، للعجلوني: (٢/ ٢٨، ٢٩)، رقم: (١٩٥٣).

(٤) جامع الترمذي: (٣/ ٥٢)، رقم: (٦٦٤)، وقال: «هذا حديث حسن غريب»، وأورده ابن حبان في صحيحه: (٨/ ١٠٣، ١٠٤) رقم: (٣٣٠٩)، كما أنه عند ابن حجر الهيتمي لا ينزل عن رتبة الحسن، انظر: الزواجر: (١/ ٣١٨، ٣١٩)، والظاهر أن ذلك لشواهد الحديث وإلا فإن سنده لا يرقى إلى ذلك، انظر: المقاصد الحسنة، للسخاوي: (٢٦٠، ٢٦١) رقم: (٦١٨)، وما سطره الأرناؤوط في حاشية صحيح ابن حبان: (٨/ ١٠٤).

وهذا من جهة السند، أما من جهة المعنى فقال المناوي -في فيض القدير: (٤/ ٢٣٦)-: «قال العامري: ميتة السوء قد تكون في الصعوبة بسبب الموت كهدم وذات جنب وحرق ونحوها، وقد تكون سوء حالة في الدين كموتة على بدعة أو شك أو إصرار على كبيرة، فحث على الصدقة لدفعها لذلك».

ومنها أيضاً: قوله ﷺ - حين هلع الناس لكسوف الشمس -: «فإذا رأيتم ذلك فادعوا الله وكبِّروا وصلُّوا وتصدَّقُوا»[١]، قال ابن دقيق العيد في شرحه له: «وفي الحديث دليل على استحباب الصدقة عند المخاوف لاستدفاع البلاء المحذور»[٢].

كما أن الصدقة تحفظ البدن، وتدفع عن صاحبها البلايا والأمراض، يدل على ذلك حديث: «داووا مرضاكم بالصدقة»[٣]، قال ابن الحاج: «والمقصود من الصدقة أن المريض يشتري نفسه من ربه - عز وجل - بقدر ما تساوي نفسه عنده، والصدقة لا بد لها من تأثير على القطع، لأن المخبِر ﷺ صادق، والمخبَر عنه كريم منَّان»[٤]. وقد سأل رجل ابن المبارك عن قرحة في ركبته لها سبع سنين وقد أعيت الأطباء؛ فأمره بحفر بئر في محل يحتاج الناس إلى الماء فيه، وقال له: «أرجو أن ينبع فيه عين؛ فيمسك الدم عنك»[٥]. وقد تقرَّح وجه أبي عبد الله الحاكم - صاحب

---

(١) أخرجه البخاري رقم: (١٠٤٤)، فتح الباري: (٢/ ٦١٥).

(٢) إحكام الأحكام، لابن دقيق العيد: (٢/ ١٤١).

(٣) شعب الإيمان، للبيهقي: (٣/ ٢٨٢)، رقم: (٣٥٥٨)، وأفاد المنذري في الترغيب والترهيب: (١/ ٥٢٠) أنه روي مرفوعاً ومرسلاً، قال: «والمرسل أشبه»، وحسنه الألباني في صحيح الجامع: (١/ ٦٣٤)، رقم: (٣٣٥٨).

(٤) المدخل، لابن الحاج: (٤/ ١٤١، ١٤٢).

(٥) انظر: الزواجر، لابن حجر الهيتمي: (١/ ٣٢١).

المستدرك - قريباً من سنة، فسأل أهل الخير الدعاء له فأكثروا من ذلك، ثم تصدق على المسلمين بوضع سقاية بنيت على باب داره وصبَّ فيها الماء، فشرب منها الناس فما مرَّ عليه أسبوع إلا وظهر الشفاء، وزالت تلك القروح، وعاد وجهه إلى أحسن ما كان [١].

والأمر كما قال المناوي: «وقد جرَّب ذلك الموفقون - التداوي بالصدقة - فوجدوا الأدوية الروحانية تفعل ما لا تفعله الأدوية الحسية، ولاينكر ذلك إلا من كثف حجابه» [٢].

وليس هذا فحسب، بل إن بعض السلف كانوا يرون أن الصدقة تدفع عن صاحبها الآفات والشدائد حتى وإن كان ظالماً، قال إبراهيم النخعي: «كانوا يرون أن الصدقة تدفع عن الرجل الظلوم» [٣].

وفي المقابل، فإن عدم الصدقة يجر على العبد المصائب والمحن، يدل لذلك حديث أنس بن مالك - رضي الله عنه - مرفوعاً، وفيه: «أن جبريل قال ليعقوب - عليهما السلام - عن الله - عز وجل -: «أتدري لم أذهبتُ بصرك، وقوستُ ظهرك، وصنع إخوة يوسف ما صنعوا؟ إنكم ذبحتم شاة، فأتاكم مسكين يتيم وهو صائم فلم تطعموه منه شيئاً» [٤].

(١) انظر: الزواجر، لابن حجر الهيتمي: (١/ ٣٢١، ٣٢٢).

(٢) فيض القدير، للمناوي: (٣/ ٥١٥).

(٣) شعب الإيمان، للبيهقي: (٣/ ٢٨٣)، رقم: (٣٥٥٩).

(٤) المستدرك، للحاكم: (٢/ ٤٣٨)، وصححه، ووافقه الذهبي.

٣ـ عظم أجرها ومضاعفة ثوابها:

يربِّي الله الصدقات، ويضاعف لأصحابها المثوبات، ويعلي الدرجات.. بهذا تواترت النصوص وعليه تضافرت.

فمن الآيات الكريمات الدالة على أن الصدقة أضعاف مضاعفة وعند الله مزيد: قوله ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ [الحديد: ١٨]، أوضحت هذه الآية الكريمة أن: «المتصدقين والمتصدقات لا يتفضلون على آخذي الصدقات، ولا يتعاملون في هذا مع الناس، إنما هم يقرضون الله ويتعاملون مباشرة معه، فأي حافز للصدقة أوقع وأعمق من شعور المعطي بأنه يقرض الغني الحميد، وأنه يتعامل مع مالك الوجود، وأن ما ينفقه مخلف عليه مضاعف، وأن له بعد ذلك كله أجراً كريماً؟!»[١].

ومنها: قوله ـ تعالى ـ: ﴿مَن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾ [البقرة: ٢٤٥]، قال الجصاص مبيناً علة تسمية الله للصدقة قرضاً: «سمَّاه الله قرضاً تأكيداً لاستحقاق الثواب به، إذ لا يكون قرضاً إلا والعوض مستحق به»[٢]، وعلَّل ذلك ابن القيم بأن: «الباذل متى

(١) في ظلال القرآن، لسيد قطب: (٦/ ٣٤٩٠).

(٢) أحكام القرآن، للجصاص: (١/ ٦١٦).

علم أن عين ماله يعود إليه ولا بد؛ طوعت له نفسه، وسهل عليه إخراجه، فإن علم أن المستقرض مليء وفيٌّ محسن، كان أبلغ في طيب فعله وسماحة نفسه، فإن علم أن المستقرض يتَّجر له بما اقترضه، وينميه له ويثمره حتى يصير أضعاف مابذله كان بالقرض أسمح وأسمح، فإن علم أنه مع ذلك كله يزيده بعطائه أجراً آخر من غير جنس القرض؛ فإنه لايتخلف عن قرضه إلا لآفة في نفسه من البخل أو الشح أو عدم الثقة بالضمان»(١). ومنها: قوله - عز وجل -: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦١] ، فهذه الآية لها أثر عظيم في دفع العبد إلى الصدقة؛ إذ يضاعف الله له بلا عدة ولا حساب، من رحمته سبحانه ورزقه الذي لا حدود له ولا مدى(٢).

ومن الأحاديث الدالة على عظم أجر الصدقة: قوله ﷺ: «إن الله يقبل الصدقة، ويأخذها بيمينه، فيربيِّها لأحدكم كما يربِّي أحدكم مهره، حتى إن اللقمة لتصير مثل أُحدٍ، وتصديق ذلك في كتاب الله - عز وجل -: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ﴾

---

(١) طريق الهجرتين، لابن القيم: ص (٥٣٨، ٥٣٩).

(٢) انظر: في ظلال القرآن، لسيد قطب: (١/ ٣٠٦) ، وراجع: إعلام الموقعين، لابن القيم: (١/ ١٤١، ١٤٢).

[التوبة: ١٠٤]، وقوله ـ تعالىٰ ـ: ﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ﴾ [البقرة: ٢٧٦]»[(١)]، وقوله ﷺ: «ما تصدق أحد بصدقة من طيِّب، ولا يقبل الله إلا الطيِّب، إلا أخذها الرحمن بيمينه وإن كان تمرة، فتربُوا في كف الرحمن حتىٰ تكون أعظم من الجبل، كما يربِّي أحدكم فُلُوَّه أو فصيله[(٢)]»[(٣)].

قال ابن حجر: «الصدقة نتاج العمل، وأحوج ما يكون النتاج إلىٰ التربية إذا كان فطيماً، فإذا أحسن العناية به انتهىٰ إلىٰ حد الكمال، وكذلك عمل ابن آدم ـ لاسيما الصدقة ـ فإن العبد إذا تصدق من كسب طيب لا يزال نظر الله إليها يكسبها نعت الكمال، حتىٰ تنتهي بالتضعيف إلىٰ نصاب تقع المناسبة بينه وبين ما قدَّم نسبة ما بين التمرة إلىٰ الجبل... والظاهر أن المراد بعظمها: أن عينها تعظم لتثقل في الميزان، ويحتمل أن يكون ذلك معبراً به عن ثوابها»[(٤)]، ومنها: قوله ﷺ: «من

---

(١) جامع الترمذي: (٣/ ٥٠) رقم: (٦٦٢)، وقال: «حسن صحيح»، وصححه الألباني في صحيح الجامع: (١/ ٣٨٦)، رقم: (١٩٠١).

(٢) الفَلُو: ولد الفرس إذا فُطم عن أمه، والفصيل: ولد الناقة إذا فصل عن الرضاع. انظر: معجم مقاييس اللغة، لابن فارس: (٤/ ٤٤٧، ٥٠٥).

(٣) أخرجه البخاري برقم: (١٤١٠)، فتح الباري: (٣/ ٣٢٦)، مسلم: (١/ ٧٠٢) رقم: (١٠١٤)، واللفظ له.

(٤) الفتح: (٣/ ٣٢٨، ٣٢٩).

أنفق نفقة في سبيل الله كتب له سبعمائة ضعف»[١] ، قال المباركفوري : «وهذا أقل الموعود ، والله يضاعف لمن يشاء»[٢]، وحديث أبي مسعود الأنصاري ـ رضي الله عنه ـ : « أن رجلاً جاء بناقة مخطومة[٣] فقال : هذه في سبيل الله . فقال رسول الله ﷺ: لك بها يوم القيامة سبعمائة ناقة كلها مخطومة»[٤] ، واستطعم مسكين عائشة ـ رضي الله عنها ـ وبين يديها عنب ، فقالت لإنسان : «خذ حبة فأعطه إياها ، فجعل ينظر إليها ويعجب ، فقالت عائشة : أتعجب؟! كم ترىٰ في هذه الحبة من مثقال ذرة»[٥] .

قال بعض العلماء : « إن الله أعطىٰ لكم الدنيا قرضاً ، وسألكموه قرضاً ، فإن أعطيتموها طيبة بها أنفسكم ضاعف لكم ما بين الحسنة إلىٰ العشر إلىٰ سبعمائة إلىٰ أكثر من ذلك . . . »[٦] ، وقال يحيىٰ بن معاذ : «ما أعرف حبة تزن جبال الدنيا إلا من الصدقة»[٧] .

---

(١) المسند ، لأحمد (٣١/ ١٩٦ ، ١٩٧) ، رقم : (١٨٩٠٠) ، جامع الترمذي : (٤/ ١٦٧) رقم : (١٦٢٥) ، وصححه غير واحد كالحاكم في المستدرك : (٢/ ٨٧) ، ووافقه الذهبي ، وابن حبان في صحيحه : (١٠/ ٥٠٤) ، رقم : (٤٦٤٧) ، والألباني في صحيح الجامع : (٢/ ١٠٥٤) رقم : (٦١١٠) .

(٢) تحفة الأحوذي : (٥/ ٢٥٤) .

(٣) مخطومة : أي عليها خطام ، وهو مثل الزمام ، انظر : (إكمال المعلم بفوائد مسلم) ، للقاضي عياض : (٦/ ٣١٥) .

(٤) مسلم : (٢/ ١٥٠٥) ، رقم : (١٨٩٢) .

(٥) الموطأ : (٢/ ٩٩٧) ، وانظر : التمهيد ، لابن عبد البر : (٤/ ٣٠٢) .

(٦) الزهد ، لابن المبارك : ص (٢٢٦) ، رقم : (٦٤٢) .

(٧) المستطرف ، للأبشيهي : (١/ ٢٥) .

٤ ـ إطفاؤها الخطايا وتكفيرها الذنوب:

جعل الله الصدقة سبباً لغفران المعاصي وإذهاب السيئات والتجاوز عن الهفوات، دلت على ذلك نصوص الكتاب والسنة، ومنها: قوله ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ [هود: ١١٤] الذي هو نص عام يشمل كل حسنة وفعل خير، والصدقة من أعظم الحسنات والخيرات، فهي داخلة فيه بالأولوية[١]، وقوله ـ سبحانه ـ: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً﴾ [الأحزاب: ٣٥]، وقوله ـ عز وجل ـ: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣، ١٣٤] الذي أفاد أن من أول وأجلّ ما تنال به مغفرة الله للخطايا وتجاوزه عن الذنوب: الإنفاق في مراضيه سبحانه.

ومن النصوص الدالة على ذلك أيضاً: قوله ﷺ: «تصدَّقوا ولو

---

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير: (٤/ ٣٥٥)، في ظلال القرآن، لسيد قطب: (٤/ ١٩٣٢).

بتمرة، فإنها تسدُّ من الجائع، وتطفئ الخطيئة، كما يطفئ الماء النار»[١]، وقوله ﷺ: «والصدقة تطفئ الخطيئة كما يذهب الجليد على الصفا»[٢]، وما أخرجه البخاري في صحيحه في باب: (الصدقة تكفر الخطيئة)، من حديث حذيفة ـ رضي الله عنه ـ وفيه: «فتنة الرجل في أهله وماله وولده وجاره تكفرها الصلاة والصدقة والمعروف»[٣]، وقوله ﷺ: «يامعشر التجار، إن الشيطان والإثم يحضران البيع؛ فشوبوا بيعكم بالصدقة»[٤]. ومعناه أن التاجر: «قد يبالغ في وصف سلعته حتى يتكلم بما هو لغو، وقد يجازف في الحلف لترويج سلعته، فيندب إلى الصدقة ليمحو أثر ذلك»[٥]، وقال محمد بن المنكدر: «من موجبات المغفرة: إطعام المسلم السغبان»، قال بعض أهل العلم ـ عقب إيراده له ـ: «وإذا كان الله ـ سبحانه ـ قد غفر لمن سقى كلباً على شدة ظمئه؛ فكيف بمن سقى العطاش وأشبع الجياع وكسا العراة من المسلمين؟!»[٦].

---

(١) مسند الشهاب: (١/ ٩٥)، رقم: (١٠٤)، والزهد، لابن المبارك: (٢٢٩)، رقم: (٦٥١)، وصححه الألباني في صحيح الجامع: (١/ ٥٦٨)، رقم: (٢٩٥١).

(٢) صحيح ابن حبان: (١٢/ ٣٧٨، ٣٧٩)، رقم: (٥٥٦٧)، وصححه المحقق، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب: (١/ ٣٦٣)، رقم: (٨٦١).

(٣) أخرجه البخاري رقم: (١٤٣٥)، الفتح: (٣/ ٣٥٣).

(٤) جامع الترمذي: (٣/ ٥١٤)، رقم: (١٢٠٨)، وقال: حسن صحيح، وصححه الألباني في صحيح الترمذي: (٢/ ٤) رقم: (٩٦٦).

(٥) المبسوط، للسرخسي: (١٥/ ١١٥).

(٦) عدة الصابرين، لابن القيم: ص (٢٥٥)، والسغبان: الجائع.

ولاستفاضة النصوص في كون الصدقة مكفرة للذنوب وماحية للخطايا استحب بعض أهل العلم الصدقة عقب كل معصية [١]، ولعلَّ مستندهم في ذلك قوله ﷺ: «وأتبع السيئة الحسنة تمحها» [٢]، والصدقة من كبار الحسنات ورؤوس الطاعات فهي داخلة في عموم النص قطعاً.

٥ـ مباركتها المال، وزيادتها الرزق:

تحفظ الصدقة المال من الآفات والهلكات والمفاسد، وتحل فيه البركة، وتكون سبباً في إخلاف الله على صاحبها بما هو أنفع له وأكثر وأطيب [٣]، دلَّت على ذلك النصوص الثابتة والتجربة المحسوسة.

فمن النصوص الدالة على أن الصدقة جالبة للرزق: قول الذي ينابيع خزائنه لاتنضب وسحائب أرزاقه لاتنقطع ـ واعداً من أنفق في طاعته بالخلف عليه: ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ [سبأ: ٣٩]، قال ابن عاشور ـ في تفسيره ـ: «وأكَّد ذلك الوعد بصيغة الشرط، وبجعل جملة الجواب اسمية، وبتقديم المسند إليه على الخبر الفعلي بقوله: ﴿فَهُوَ

(١) انظر: مغني المحتاج، للشربيني: (٣/ ١٢٣)، غاية المحتاج، للرملي: (٦/ ١٧٦).

(٢) المسند، لأحمد: (٣٥/ ٢٨٤) رقم: (٢١٣٥٤)، جامع الترمذي: (٤/ ٣٥٥)، رقم: (١٩٨٧)، وقال: (حسن صحيح)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع: (١/ ٨١) رقم: (٩٧).

(٣) انظر: شرح الزرقاني، للموطأ: (٤/ ٥٤٩)، سبل السلام، للصنعاني: (٤/ ٢٠٨).

﴿يُخْلِفُهُ﴾، ففي هذا الوعد ثلاث مؤكدات دالة على مزيد العناية بتحقيقه... وجملة: ﴿وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ تذييل للترغيب والوعد بزيادة أن ما يخلفه أفضل مما أنفقه المنفق»[1]. وقال العلاّمة السعدي: «قوله: ﴿وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ﴾ نفقة واجبة أو مستحبة، على قريب أو جار أو مسكين أو يتيم أو غير ذلك ﴿فَهُوَ﴾ تعالى ﴿يُخْلِفُهُ﴾ فلا تتوهموا أن الإنفاق مما ينقص الرزق؛ بل وَعَدَ بالخلف للمنفق الذي يبسط الرزق ويقدر، ﴿وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ فاطلبوا الرزق منه»[2].

وما أجمل مقولة بعضهم: «أنفق ما في الجيب يأتك ما في الغيب»[3]، وما أفقه علياً - رضي الله عنه - حين قال: «اقرؤوا مواضع الخلف؛ فإني سمعت الله يقول: ﴿وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ﴾ [سبأ: ٣٩]، إذا لم ينفقوا كيف يخلف عليهم؟!»[4].

ومن النصوص الدالة أيضاً على أن الصدقة بوابة للرزق، ومن أسباب سعته واستمراره وتهيؤ أسبابه، وأنها لا تزيد العبد إلا كثرة: قوله - تعالى -: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٧]؛ إذ الصدقة غاية في

---

(١) التحرير والتنوير، لابن عاشور: (٢٢/ ٢٢٠).

(٢) تيسير الكريم الرحمن، للسعدي: (٦٨١).

(٣) كشف الخفاء، للعجلوني: (١/ ٢٤٥)، رقم: (٦٤١).

(٤) الدر المنثور، للسيوطي: (٥/ ٤٤٨، ٤٤٩)، فتح البيان، لصديق خان: (١١/ ٢٠٣).

الشكر، وقوله -عز وجل- في الحديث القدسي: «يا ابن آدم، أَنفق أُنفق عليك»[١]، وقوله ﷺ: «ما فتح رجل باب عطية بصدقة أو صلة إلا زاده الله بها كثرة»[٢]، وقوله ﷺ: «ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان، فيقول أحدهما: اللهم أعط منفقاً خلفاً، ويقول الآخر: اللهم أعط ممسكاً تلفاً»[٣].

كما يدل على ذلك قوله ﷺ: «بينا رجل بفلاة من الأرض فسمع صوتاً في سحابة: اسق حديقة فلان. فتنحّى ذلك السحاب فأفرغ ماءه في حَرَّة[٤]، فإذا شَرْجة[٥] قد استوعبت ذلك الماء كله، فتتبع الماء فإذا رجل قائم في حديقته يُحوِّل الماء بمِسْحَاته[٦]، فقال له: يا عبد الله، ما اسمك؟ قال: فلان- للاسم الذي سمع في السحابة-، فقال له: يا عبد الله، لِمَ تسألني عن اسمي؟ فقال: إني سمعت صوتاً في السحاب الذي هذا ماؤه- يقول: اسق حديقة فلان- لاسمِك- فماذا تصنع

---

(١) أخرجه البخاري رقم: (٢٦٨٤)، الفتح: (٨/ ٢٠٢)، مسلم: (١/ ٦٩٠)، رقم: (٩٩٣) واللفظ له.

(٢) شعب الإيمان، للبيهقي: (٣/ ٢٣٣، ٢٣٤)، رقم: (٢٤١٣)، وصححه الألباني في صحيح الجامع: (٢/ ٩٨٦) رقم: (٥٦٤٦).

(٣) أخرجه البخاري رقم: (١٤٤٢)، فتح (٨/ ٣٥٧)، مسلم: (١/ ٧٠٠) رقم: (١٠١٠).

(٤) الحرة: أرض بها حجارة سود كثيرة، انظر: معجم مقاييس اللغة، لابن فارس: (٧/ ٢).

(٥) الشرجة: مسيل الماء إلى الأرض السهلة، انظر: تاج العروس، للزبيدي: (٣/ ٤١٣).

(٦) المسحاة: مجرفة من حديد، انظر: النهاية في غريب الحديث، لابن الأثير: (٤/ ٣٢٨).

فيها ؟ قال : أما إذ قلت هذا ؛ فإني أنظر إلى ما يخرج منها فأتصدق بثلثه ، وآكل أنا وعيالي ثلثه ، وأردُّ فيها ثلثه» ، وفي رواية : «وأجعل ثلثه في المساكين والسائلين وابن السبيل» [(١)] .

وفي المقابل جاءت نصوص عديدة تردُّ على فئام من الخلق - ممن رقَّ دينهم أو ثَخُنت أفهامهم - ظنوا أن الصدقة منقصة للمال ، جالبة للفقر ، مسببة للضيعة ، فأبانت أن الصدقة لا تنقص مال العبد ، وأن شحه به هو سبب حرمان البركة وتضييق الرزق وإهلاك المال وعدم نمائه ، ومن هذه النصوص قوله ﷺ : «ما نقصت صدقة من مال» [(٢)] ، وقوله ﷺ : «ثلاث أقسم عليهن ، وأحدثكم حديثاً فاحفظوه ، فأما الثلاث التي أقسم عليهن : فإنه ما نقص مال عبد من صدقة . . . » [(٣)] ، وقوله ﷺ لأسماء بنت أبي بكر - رضي الله عنهما - حين قالت له : ماليَ مال إلا ما أدخل عليَّ الزبير - : «أنفقي ولا تحصي فيحصي الله عليك ، ولا توعي فيوعي الله عليك» [(٤)] ، قال المباركفوري - في شرحه - : «فدلَّ الحديث على أن الصدقة

---

(١) مسلم : (٣/ ٢٢٨٨) ، رقم : (٢٩٨٤) .

(٢) مسلم : (٣/ ٢٠٠١) ، رقم : (٢٥٨٨) .

(٣) المسند ، لأحمد : (٢٩/ ٥٦١) ، رقم : (١٨٠٣١) ، جامع الترمذي : (٤/ ٥٦٢) ، رقم : (٢٣٢٥) ، وقال : «حسن صحيح» ، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب : (١/ ٩) رقم : (١٤) .

(٤) أخرجه البخاري رقم : (٢٥٩١) ، الفتح : (٥/ ٢٥٧) .

تنمّي المال وتكون سبباً إلىٰ البركة والزيادة فيه، وأن مَن شحَّ ولم يتصدق فإن الله يوكي عليه، ويمنعه من البركة في ماله والنماء فيه»[١]، وقال المناوي: «والمراد: النهي عن منع الصدقة خوف الفقر، ومن علم أن الله يرزقه من حيث لا يحتسب؛ فحقه أن يعطي ولا يحسب»[٢].

والتجربة المحسوسة تثبت أن: «المعونة تأتي من الله للعبد علىٰ قدر المؤونة»[٣]، وأن رزق العبد يأتيه بقدر عطيته ونفقته فمن أكثر أُكثر له، ومن أَقلَّ أُقِل له، ومن أمسك أُمسِك عليه[٤]، وقد نص غير واحد من العارفين أن ذلك مجرب محسوس[٥]، ومن شواهد ذلك قصة عائشة ـ رضي الله عنها ـ: «أن مسكيناً سألها وهي صائمة وليس في بيتها إلا رغيف؛ فقالت لمولاتها: أعطيه إياه. فقالت: ليس لك ما تفطرين عليه! فقالت: أعطيه إياه. قالت: ففعلت. قالت: فلما أمسينا أهدىٰ لنا أهل بيت أو إنسان ـ ما كان يهدي لنا ـ: شاة وكفَّنها[٦]، فدعتني فقالت:

---

(١) تحفة الأحوذي: (٦/ ٩٤)، وانظر: الفتح: (٤/ ٣٥٢)، (٥/ ٢٥٨).

(٢) فيض القدير، للمناوي: (١/ ٤٧٥).

(٣) جزء من حديث مرفوع عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عند البيهقي في شعب الإيمان: (٧/ ١٩١)، رقم: (٩٩٥٦)، وصححه الألباني في صحيح الجامع: (١/ ٣٩٤)، رقم: (١٩٥٢).

(٤) انظر: روح المعاني، للألوسي: (٢٢/ ١٥٠).

(٥) انظر علىٰ سبيل المثال: سبل السلام، للصنعاني: (٤/ ٢٠٨).

(٦) أي غطاها بأقراص ورُغُف، انظر: النهاية، لابن الأثير: (٤/ ١٩٣).

كلي من هذا، هذا خير من قُرصك»(١).

والقضية مرتبطة بالإيمان ومتعلقة باليقين، والأمر كما قال الحسن البصري: «من أيقن بالخلف جاد بالعطية»(٢).

٦ـ أنها وقاية من العذاب، وسبيل لدخول الجنة:

الصدقة والإنفاق في سُبل الخير فدْيَةٌ للعبد من العذاب، وتخليص له وفكاكٌ من العقاب، ومَثَّلُها ـ كما في الحديث ـ: «كمثل رجل أسره عدو، فأوثقوا يده إلىٰ عنقه، وقدَّموه ليضربوا عنقه، فقال: أنا أفتدي منكم بالقليل والكثير. ففدىٰ نفسه منهم»(٣)، وقد كثرت النصوص المبينة بأن الصدقة ستر للعبد وحجاب بينه وبين العذاب، ومن هذه النصوص: حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ في إثبات نعيم القبر وعذابه ـ الذي تضمن إخباره ﷺ بأن الصدقة وأعمال البر تدفع عن صاحبها عذاب القبر إذ قال ﷺ: «إن الميت إذا وُضع في قبره؛ إنه يسمع خفق نعالهم حين يُولُّون عنه، فإن كان مؤمناً كانت الصلاة عند رأسه، وكان الصيام عن يمينه، وكانت الزكاة عن شماله، وكان فعل الخيرات من الصدقة والصلة

---

(١) الموطأ، لمالك: (٢/ ٩٩٧).

(٢) روضة العقلاء، لابن حبان: (١٩٨).

(٣) جامع الترمذي: (٥/ ١٤٨)، رقم: (٢٨٦٣) وقال: «حسن صحيح غريب»، وصححه الألباني في صحيح الجامع: (١/ ٣٥٤)، رقم: (١٧٢٤).

والمعروف والإحسان إلى الناس عند رجليه، فيؤتى من قبل رأسه، فتقول الصلاة: ما قِبَلي مدخل. ثم يؤتى عن يمينه، فيقول الصيام: ما قِبَلي مدخل. ثم يؤتى عن يساره، فتقول الزكاة: ما قِبَلي مدخل. ثم يؤتى من قِبَل رجليه، فيقول فعل الخيرات من الصدقة والصلة والمعروف والإحسان إلى الناس: ما قِبَلي مدخل. . . »[(١)]، ومنها: الأحاديث التي تضمنت التهديد والوعيد لأصحاب الثراء، كقوله ﷺ: «هلك المكثرون إلا من قال هكذا وهكذا وهكذا - ثلاث مرات: حتى بكفيه عن يمينه وعن يساره وبين يديه - وقليل ما هم »[(٢)]، وفي رواية: «ويل للمكثرين. . »[(٣)]، ومنها: قوله ﷺ: «من أعتق رقبة مسلمة، كانت فكاكه من النار عضواً بعضو»[(٤)]، وحديث أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه -، وفيه قوله ﷺ: «يا معشر النساء، تصدقن فإني رأيتكن أكثر أهل النار. فقلن: وبم يا رسول الله؟ قال: تكثرن اللعن، وتكفُرْن العشير »[(٥)]، قال ابن حجر في

---

(١) المستدرك، للحاكم: (١/ ٣٧٩)، وصححه على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، صحيح ابن حبان: (٧/ ٣٨٠، ٣٨١)، رقم: (٣١١٣)، وحسنه المحقق.

(٢) المسند، لأحمد: (١٣/ ٤٤٧)، رقم: (٨٠٨٥)، وقال المحقق: «إسناده صحيح».

(٣) سنن ابن ماجه: (٢/ ١٣٨٣)، رقم: (٤١٢٩)، وصححه الألباني في صحيح الجامع: (٢/ ١١٩٩)، رقم: (٧١٣٧).

(٤) المسند، لأحمد: (٢٨/ ٢٤١)، رقم: (١٧٠٢٠)، وقال المحقق: «حديث صحيح».

(٥) أخرجه البخاري رقم: (٣٠٤)، الفتح: (١/ ٤٨٥).

ـ شرحه ـ: «وفيه: أن الصدقة تدفع العذاب، وأنها قد تكفر الذنوب بين المخلوقين» [(١)]، وقال الشوكاني في أثناء تعداده لفوائد الحديث: «ومنها: أن الصدقة من دوافع العذاب لأنه علّل بأنهنَّ أكثر أهل النار لما يقع منهن من كفران النعم وغير ذلك» [(٢)].

وقد كثر حض النبي ﷺ أمته على اتخاذ أحدهم الصدقة ـ مهما قلّت ـ حجاباً بينه وبين النار؛ فقال ﷺ ـ في حديث عدي بن حاتم ـ رضي الله عنه ـ: «ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان، فينظر أيمن منه فلا يرىٰ إلا ما قدم من عمله، وينظر أشأم منه فلا يرىٰ إلا ما قدم، وينظر بين يديه فلا يرىٰ إلا النار تلقاء وجهه، فاتقوا النار ولو بشق تمرة» [(٣)]، وفي رواية: «من استطاع منكم أن يستتر من النار ولو بشق تمرة فليفعل» [(٤)]، وقال ﷺ ـ في حديث فضالة بن عبيد ـ رضي الله عنه ـ: «اجعلوا بينكم وبين النار حجاباً ولو بشق تمرة» [(٥)]، كما قال ﷺ ـ في

---

(١) فتح الباري، لابن حجر: (١/ ٤٨٥).

(٢) نيل الأوطار، للشوكاني: (٦/ ١٢٤).

(٣) أخرجه البخاري رقم: (٧٥١٢)، الفتح: (١٣/ ٤٨٢)، مسلم: (١/ ٧٠٣)، رقم: (١٠١٦).

(٤) مسلم: (١/ ٧٠٣)، رقم: (١٠١٦).

(٥) المعجم الكبير، للطبراني: (١٨/ ٣٠٣)، رقم: (٧٧٧)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع: (١/ ٩٤)، رقم: (١٥٣).

حديث أنس - رضي الله عنه -: « اقتدوا من النار ولو بشق تمرة »[١]، وقال لزوجه أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها -: « يا عائشة، استتري من النار ولو بشق تمرة، فإنها تسد من الجائع مسدَّها من الشبعان »[٢].

ولا يقتصر أثر الصدقة والإنفاق على دفع حر القبور والخلاص من لهيب جهنم؛ بل إنها من أسباب دفع الخوف والحزن عن العبد وتحصيله للأمن، ومن السُبل العظيمة لدخوله الجنة، ومن النصوص الدالة على ذلك قوله - تعالى -: ﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٤]، الذي يعم جميع النفقات في طاعة الله وطرق مرضاته - سواء أكانت للفقراء و المعوزين أم في سبيل رفعة الدين ونصرته - ويشمل جميع الأوقات والحالات. يقول سيد قطب: «﴿فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ هكذا إطلاقاً، من مضاعفة المال وبركة العمر وجزاء الآخرة ورضوان الله، ﴿وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ لا خوف من أي مخوف، ولا حزن من أي محزن... في الدنيا والآخرة سواء »[٣].

---

(١) صحيح ابن خزيمة: (٤/ ٩٤)، رقم: (٢٤٣٠)، وحسن إسنادها المحقق.

(٢) المسند، لأحمد: (٦/ ٧٩)، وحسنه المنذري والألباني كما في صحيح الترغيب: (٣٦٢).

(٣) في ظلال القرآن، لسيد قطب: (١/ ٣١٦)، وانظر: لباب التأويل، للخازن: (١/ ٢٠٨)، تيسير الكريم الرحمن، للسعدي: (١١٦).

وقوله ـ عز وجل ـ: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣، ١٣٤] الذي جلّى الله فيه صفة أهل الجنة، وأبان بأن من أجل سماتهم التي تؤهلهم لدخول الجنة: الإنفاق في مراضيه ـ سبحانه ـ، والإحسان إلى خلقه بأنواع البر(١).

ومن النصوص النبوية الدالة على أن الصدقة من أسباب دخول الجنة: قوله ﷺ: «أربعون خصلة أعلاها منيحة العنز (٢)، ما من عامل يعمل بخصلة منها رجاء ثوابها وتصديق موعودها إلا أدخله الله بها الجنة»(٣).

ولا يتوقف أثر الصدقة على هذا فحسب؛ بل الأمر أعظم جداً من ذلك؛ إذ يبادر خزنة كل باب من أبواب الجنة لدعوة المتصدق كلٌ يريده الدخول من قِبَله، وللجنة باب يقال له: باب الصدقة، يدخل منه المتصدقون، يدل لذلك حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله

---

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير: (٢/ ١١٩).

(٢) المنيحة عند العرب العطية، وهي على وجهين: أحدهما: أن يعطي الرجل صاحبه الشيء بمنافعه صلة فتكون له، وهي الهبة، والآخر: أن يعطيه ناقة أو شاة أو نخلة ينتفع بها زمناً ثم يردها، انظر: فتح الباري، لابن حجر: (٥/ ٢٨٨)، عون المعبود، للعظيم آبادي: (٥/ ٩٧).

(٣) أخرجه البخاري رقم: (٢٦٣١)، الفتح: (٥/ ٢٨٧).

ﷺ قال: «من أنفق زوجين [١] في سبيل الله [٢] نودي من أبواب الجنة يا عبد الله، هذا خير - إلى أن قال - ومن كان من أهل الصدقة دُعي من باب الصدقة..» [٣] وفي لفظ: «دعاه خزنة الجنة، كل خزنة باب: أي فُلُ [٤] هَلُمَّ» [٥]، وقد أبان العيني أن المراد بالصدقة هنا النافلة؛ لأن الزكاة الواجبة لا بد منها لجميع من وجبت عليه من المسلمين، ومن ترك شيئاً منها فيُخاف عليه أن ينادىٰ من أبواب جهنم [٦].

٧- أنها دليل صدق الإيمان، وقوة اليقين، وحسن الظن بربّ العالمين:

المال ميَّال بالقلوب عن الله؛ لأن النفوس جُبلت علىٰ حُبِّه والشح به فإذا سَمَحتْ النفس بالتصدق به وإنفاقه في مرضات الله - عز وجل - كان

---

(١) المراد بالزوجين: إنفاق شيئين من أي صنف من أصناف المال من نوع واحد. انظر: فتح الباري، لابن حجر: (٤/ ١٣٤).

(٢) المراد بقوله: «في سبيل الله»: عموم الإنفاق في وجوه الخير، وقيل: مخصوص بالجهاد، والأول أصح وأظهر. انظر: شرح مسلم، للنووي: (٧/ ١٦٢)، فتح الباري، لابن حجر: (٧/ ٣٤).

(٣) أخرجه البخاري رقم: (١٨٩٧)، الفتح: (٤/ ١٣٣)، مسلم: (١/ ٧١١)، رقم: (١٠٢٧).

(٤) لفظ (فل) لغة في فلان، وهي بالضم، وكذا ثبت في الرواية، وقيل: إنها ترخيم فلان، انظر: شرح مسلم، للنووي: (٧/ ١٦٤)، فتح الباري، لابن حجر: (٧/ ٣٤).

(٥) مسلم: (١/ ٧١٢)، رقم: (١٠٢٧).

(٦) انظر: عمدة القاري، للعيني: (١٠/ ٢٦٤).

ذلك برهان على صحة إيمان العبد وتصديقه بموعود الله ووعيده، وعظيم محبته له؛ إذ قدَّم رضاه ـ سبحانه ـ على المال الذي فُطر على حُبِّه [(١)].

ويدلُّ على هذا الأمر قوله ﷺ: «والصدقة برهان»[(٢)]، ومعناه: أنها دليل على إيمان فاعلها؛ فإن المنافق يمتنع منها لكونه لايعتقدها؛ فمن تصدق استدل بصدقته على صدق إيمانه[(٣)]. قال صاحب المفهم: «(والصدقة برهان) أي: على صحة إيمان المتصدق، أو على أنه ليس من المنافقين الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات، أو على صحة محبة المتصدق لله تعالى ولما لديه من الثواب؛ إذ قد آثر محبة الله ـ تعالى ـ وابتغاء ثوابه على ماجُبل عليه من حُبِّ الذهب والفضة حتى أخرجه لله ـ تعالى ـ»[(٤)].

وقال المناوي: «(والصدقة برهان) حجة جلية على إيمان صاحبها، أو أنه على الهدى أو الفلاح، أو لكون الصدقة تنجيه عند الحساب كما تنجي الحجة عند المحاكمة. وقال القزويني: (الصدقة برهان) على جزم المتصدق بوجود الآخرة وما تتضمنه من المجازاة؛ لأن المال محبوب للنفوس المتصفة بالخواص الطبيعية؛ فلا يقدر على بذل المال مالم يُصدِّق

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي: (٨/ ٢٤٩)، دليل الفالحين، لابن علان: (١/ ١٤٢).
(٢) مسلم: (١/ ٢٠٣)، رقم: (٢٢٣).
(٣) انظر: شرح مسلم، للنووي: (٣/ ١٢٧)، جامع العلوم والحكم، لابن رجب: (٢/ ٢٣، ٢٤).
(٤) المفهم، لأبي العباس القرطبي: (١/ ١٧٦).

بانتفاعها فيما بعد بثمرات ما يبذله، وفوزها بالعوض، وحصول السلامة من ضرر متوقع بسبب فعل قُرِنت به عقوبة»[(١)].

والصدقة بطيب نفس تورث القلب حلاوة الإيمان، وتذيق العبد طعمه، وتعمق يقينه بالله -عز وجل-، وتخلص توكله عليه، وتوجب ثقته بالله وحسن الظن به[(٢)]، لأن من استنار صدره، وعلم غنى ربه وكرمه -عز وجل- عظم رجاؤه وهانت الدنيا في عينيه؛ فأنفق ولم يخَف الإقلال، ويشهد لصحة ذلك قول أعظم الموقنين وإمام المتوكلين وأجلّ من أحسن الظن بربِّ العالمين لبلال -رضي الله عنه- حين ادَّخر شيئاً ولم ينفقه: «أنفق يا بلال، ولا تخش من ذي العرش إقلالاً»[(٣)]، قال القرطبي -بعد أن أبان أن عدم الإنفاق وترك الصدقة خوف الإقلال من سوء الظن بالله-: «فإن كان العبد حسن الظن بالله لم يخف الإقلال؛ لأنه يخلف عليه كما قال -تعالى-: ﴿وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ [سبأ: ٣٩]»[(٤)].

---

(١) فيض القدير، للمناوي: (٤/ ٢٩١).

(٢) انظر: عدة الصابرين، لابن القيم: (٢٥٣).

(٣) المعجم الأوسط، للطبراني: (٣/ ٨٦) رقم: (٢٥٧٢)، مسند أبي يعلي: (١٠/ ٤٢٩) رقم: (٦٠٤٠) وجود إسناده المحقق، وحسن إسناده الهيثمي في مجمع الزوائد: (١٠/ ٢٤١).

(٤) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي: (١/ ٢٥٣).

٨ ـ تخليتها النفس من الرذائل، وتحليتها لها بالفضائل:

تُطهِّر الصدقة النفس من الرذائل وتنقيها من الآفات، وتقيها من كثير من دواعي الشيطان ورجسه، ومن ذلك: أنها تبعد العبد عن صفة البخل وتخلصه من داء الشح الذي أخبر ـ سبحانه ـ بأن الوقاية منه سبب للفلاح وذلك في قوله ـ عز وجل ـ: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩]، وأخبر النبي ﷺ بأنه لا يلتقي والإيمان في قلب عبد فقال: «لا يجتمع الشح والإيمان في قلب عبد أبداً»(١).

ويُذهب الله بها داء العُجب بالنفس والكبر والخيلاء على الآخرين والفخر عليهم بغير حق، كما أنها من مسببات عدم حُبِّ الذات حُباً مذموماً، ومن دواعي نبذ الأثرة والأنانية، وعدم الوقوع في شيء من عبودية المال وتقديسه، وهو ما دعا على فاعله النبي ﷺ بالتعاسة والانتكاسة فقال: «تعس عبد الدِّينار وعبد الدِّرهم وعبد الخميصة... تعس وانتكَسَ وإذا شِيكَ فلا انتُقِش»(٢).

وفي المقابل، فالصدقة تهذب الأخلاق، وتزكي النفس، وتربي الروح على معالي الأخلاق وفضائلها؛ إذ فيها تدريب على الجود والكرم،

(١) المسند، لأحمد: (١٤/ ٢٠٢)، رقم: (٨٥١٢)، صحيح ابن حبان: (٨/ ٤٣)، رقم: (٣٢٥١)، وقال المحقق: «صحيح لغيره».

(٢) أخرجه البخاري رقم: (٢٨٨٧)، الفتح: (٦/ ٩٥).

وتعويد على البذل والتضحية وإيثار الآخرين، وفيها سُمو بالعبد وانتصار له على نفسه الأمَّارة بالسوء، وإلجام لشيطانه، وإعلاء لهمته؛ إذ تعلق العبد بربِّه وتربطه بالدار الآخرة، وتزهده بالدنيا وتُضْعف تعلق قلبه بها.

ويدل لذلك قوله ـ تعالى ـ: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ [التوبة: ١٠٣] [(١)]؛ إذ في قوله: ﴿تُطَهِّرُهُمْ﴾ إشارة إلى مقام التخلية من الرذائل والذنوب والأخلاق السيئة، وفي قوله: ﴿وَتُزَكِّيهِم﴾ إشارة إلى مقام التحلية بالفضائل والحسنات والأعمال الصالحة[(٢)].

كما يدل لذلك أيضاً قوله ـ عز وجل ـ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً ذَٰلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ﴾ [المجادلة: ١٢] الذي أبان الله فيه أن الصدقة سبب لنيل الخيرية، وطهرة للنفس من الأدناس، وتخلية لها من الرذائل[(٣)].

---

(١) اختلف في المراد بالصدقة في الآية أهي الزكاة الواجبة أم غيرها؟ والظاهر أن المراد بها ـ كما قال الحسن البصري ـ الصدقة غير المفروضة بدلالة نزولها في الطائفة التي تخلفت عن الغزو فبذلوا أموالهم كمالاً في توبتهم؛ لتكون جارية في حقهم مجرى الكفارة، فأمر الله رسوله ﷺ بأخذها منهم تطهيراً لهم وتزكية.

انظر: جامع البيان، للطبري: (١٤/ ٤٥٤)، التفسير الكبير، للرازي: (١٦/ ١٨١)، روح المعاني، للألوسي: (١١/ ١٤).

(٢) انظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور: (١١/ ٢٣)، تيسير الكريم الرحمن، للسعدي: (٣٥٠).

(٣) انظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير: (٨/ ٤٩)، تيسير الكريم الرحمن، للسعدي: (٧٨٥).

ولو لم يكن في الصدقة إلا أنها تعلق النفس بالقربات، وتشغلها بالطاعات، كما قال بعض السلف: «إن من ثواب الحسنة الحسنة بعدها، وإن من جزاء السيئة السيئة بعدها»(١) - والصدقة من أعظم الحسنات وأجلها - لكفى بذلك فضلاً.

٩- أنها بوابة لسائر أعمال البر:

جعل الله الصدقة والإنفاق في مرضاته مفتاحاً للبر(٢)، وداعية للعبد إلى سائر أنواعه، وذلك لأن المال من أعظم محبوبات النفس فمن قدَّم محبوب الله على ما يحب فأعطى ماله المحتاجين ونصر به الدين - وفَّقه الله لأعمال صالحة وأخلاق فاضلة لا تحصل له بدون ذلك، وآتاه أسباب التيسير بحيث يتهيأ له القيام ببقية أعمال البر فلا يستعصي شيء منها عليه، يدل لذلك قوله - تعالى -: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ﴾ [الليل: ٥ - ٧]، قال السعدي - في تفسيره -: «﴿فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى﴾: أي: نيسر له أمره، ونجعله مسهلاً عليه كل خير، ميسراً له ترك كل شر؛ لأنه أتى بأسباب التيسير، فيسَّر الله له لذلك»(٣).

---

(١) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير: (٢/١٤٦).

(٢) البر: جماع أبواب الخير والطريق الموصل إلى الجنة. انظر: تيسير الكريم الرحمن، للسعدي: (١١١).

(٣) تيسير الكريم الرحمن، للسعدي: (٨٥٧).

وقد أوضح الله هذا الأمر وجلاَّه في قوله ـ عز وجل ـ: ﴿لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: ٩٢] أي: لن تنالوا حقيقة البر الذي يتنافس فيه المتنافسون، ولن تدركوا شأوه، ولن تلحقوا بزمرة الأبرار حتى تنفقوا مما تَهْوَوْن من أموالكم ومن أعجبها إلى أنفسكم[١].

وقد فقه الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ هذا التوجيه الربَّاني؛ فحرصوا على نيل البر وكمال الخير بالنزول عمَّا يحبون، وببذل الطيب من المال نصرة للدين وسداً لحاجة المساكين، سخية به نفوسهم طمعاً في ثواب الله وإحسانه[٢]، فكان الواحد منهم إذا ازداد حُبُّه لشيء بذله لله رجاء نيل البر.

فهذا أبو طلحة ـ رضي الله عنه ـ كان أكثر الأنصار بالمدينة مالاً، وكان أحب أمواله إليه حديقة يقال لها بيرحى، فلما نزلت هذه الآية قام إلى رسول الله ﷺ فقال: «إن الله يقول في كتابه: ﴿لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: ٩٢] ، وإن أحب أموالي إلي بيرحى، وإنها صدقة لله أرجو برها وذخرها عند الله، فضعها يا رسول الله حيث شئت...»[٣]، وقال زيد بن حارثة لما نزلت هذه الآية: «اللهم إنك تعلم أنه ليس لي مال أحب إليَّ من فرسي هذه، وجاء إلى النبي ﷺ فقال:

(١) انظر: إرشاد العقل السليم، لأبي السعود: (٢/ ٥٧)، شرح الموطأ، للزرقاني: (٤/ ٥٣٨).

(٢) انظر: في ظلال القرآن، لسيد قطب: (١/ ٤٢٤).

(٣) أخرجه البخاري رقم: (٢٧٥٨)، مسلم: (٦٩٣)، رقم: (٩٩٨)، واللفظ له.

هذه في سبيل الله. فقال رسول الله ﷺ: قد قبلها الله منك»[١]، «وكتب عمر بن الخطاب إلى أبي موسى الأشعري أن يبتاع له جارية من جَلُولاء يوم فُتحت مدائن كسرى في قتال سعد بن أبي وقاص فدعا بها عمر بن الخطاب فأعجبته فقال: إن الله يقول: ﴿لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: ٩٢] فأعتقها»[٢].

وقال عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما -: «تلوت هذه الآية: ﴿لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: ٩٢]، فذكرت ما أعطاني الله فما وجدت شيئاً أحب إليَّ من جاريتي رضية، فقلت هي حرة لوجه الله»[٣]، ومرة كان راكباً على راحلة عظيمة فأعجبته فأناخها وجعلها لله تعالى[٤].

وعلى هذا الدرب سار كثير من سلف الأمة وصالحيها، فهذا الربيع بن خثيم كان إذا جاءه السائل؛ يقول لأم ولده: يا فلانة، أعطي السائل سُكَّراً؛ فإن الربيع يحب السكَّر. قال سفيان: يتأوَّل قوله - عز وجل -: ﴿لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: ٩٢][٥]، وروي عن

---

(١) تفسير عبد الرزاق: (١/ ١٢٦)، جامع البيان، للطبري: (٦/ ٥٩٢)، رقم: (٧٣٩٨)، تفسير عبد بن حميد، كما في الدر المنثور، للسيوطي: (٢/ ٢٦١).

(٢) جامع البيان، للطبري: (٦/ ٥٨٨)، رقم: (٧٣٩٢)، الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي: (٤/ ١٣٣). جلولاء: قرية ببلاد فارس.

(٣) المستدرك، للحاكم: (٣/ ٥٦٨).

(٤) انظر: الحلية، للأصفهاني: (١١/ ٢٩٤، ٢٩٥).

(٥) انظر: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي: (٤/ ١٣٣).

عمر بن عبد العزيز أنه: «كان يشتري أعدالاً من سُكَّر ويتصدق بها، فقيل له: هلا تصدقت بقيمتها؟ فقال: لأن السكَّر أحب إليَّ فأردت أن أنفق مما أحب» (١).

وكان لزوجة عمر بن عبد العزيز جارية بارعة الجمال، وكان عمر راغباً فيها، وكان قد طلبها منها مراراً فلم تعطه إياها، ثم لما ولي الخلافة زينتها وأرسلتها إليه فقالت: «قد وهبتكها يا أمير المؤمنين، فلتخدمك. قال: من أين ملكتها؟ قالت: جئت بها من بيت أبي عبد الملك. ففتش عن كيفية تملكه إياها، فقيل: إنه كان على فلان العامل ديون فلما توفي أخذت من تركته. ففتش عن حال العامل وأحضر ورثته وأرضاهم جميعاً بإعطاء المال، ثم توجه إلى الجارية ـ وكان يهواها هوى شديداً ـ فقال: أنت حرة لوجه الله ـ تعالى ـ (٢). فهذا هدي السلف، فهل من متأس بهم وسائر على نهجهم ؟!.

١٠ ـ إدراك المتصدق أجر العامل:

ما أسعد المتصدقين! إذ دلت النصوص الثابتة على أن صاحب المال يدرك بتصدقه وإنفاقه من ثواب عمل العامل بمقدار ما أعانه عليه حتى

---

(١) انظر: المصدر السابق: (٤/ ١٣٣).

(٢) انظر: إرشاد العقل السليم، لأبي السعود: (٤/ ٥٨).

يكون له مثل أجره متى استقل بمؤونة العمل من غير أن ينقص ذلك من أجر العامل شيئاً، ومن هذه النصوص الدالة على ذلك: قوله ﷺ: «من فطّر صائماً كُتب له مثل أجره لا ينقص من أجره شيء»[١]، وقوله ﷺ: «من جهّز غازياً فقد غزا، ومن خلف غازياً في سبيل الله بخير فقد غزا»[٢]، ومعناه: أنه مثله في الأجر ما دام قد أتم تجهيزه أو قام بكفاية من يخلفه بعده[٣]، وجاء الحديث عند البيهقي بلفظ: «من جهز حاجاً أو جهز غازياً أو خلفه في أهله أو فطر صائماً فله مثل أجره من غير أن ينقص من أجره شيئاً»[٤].

والأمر غير مقصور على هذه العبادات بل شامل لجميع الطاعات. فمن أعان عليها كان له مثل أجر فاعلها[٥].

فيا من يستطيع أن يجاهد وهو قاعد، ويصوم وهو آكل شارب، ويُعلِّم القرآن، وينشر الخير، ويدعو إلى الله في كل مكان وهو في بيته، نائم بين أولاده لم يباشر من ذلك شيء - لا تحرم نفسك الأجر ولا تمنعها

---

(١) المسند، لأحمد: (٢٨/ ٢٦١)، رقم: (١٧٠٣٣)، صحيح ابن حبان: (٨/ ٢١٦)، رقم: (٣٤٢٩)، واللفظ له، وهو حديث صحيح.

(٢) أخرجه البخاري رقم (٢٨٤٣)، الفتح: (٦/ ٥٨)، مسلم: (٢/ ١٥٠٦)، رقم: (١٨٩٥).

(٣) انظر: فتح الباري، لابن حجر: (٦/ ٥٩).

(٤) شعب الإيمان، للبيهقي: (٣/ ٤٨٠) رقم: (٤١٢١)، ورجاله ثقات.

(٥) انظر: فيض القدير، للمناوي: (٦/ ١١٤).

الثواب، واعمل بوصية رسول الله ﷺ لك حين قال: «اغتنم خمساً قبل خمس - وذكر منها -: وغناك قبل فقرك»[١]، واعلم بأن المال زائل والعمل باق؛ إذ لم يخلد أحد مع ماله، ولم يدخل مالٌ القبر مع صاحبه، بل هو وديعة لديك، ولا بد من أخذها منك، فما بالك تغفل عن ذلك؟!

١١ - أن الجزاء عليها من جنس العمل:

من أنفق شيئاً لله عوضه الله من جنس نفقته ما هو خير له، فيحسن إليه من نوع ما أحسن، ويعطيه من مثل ما أعطى، جزاءً وفاقاً، وقد دلَّت على ذلك أحاديث وآثار عديدة، منها: قوله ﷺ لرجل جاء بناقة مخطومة فقال: هذه في سبيل الله: «لك بها يوم القيامة سبعمائة ناقة كلها مخطومة»[٢]، وقوله ﷺ: «من أعتق رقبة مسلمة أعتق الله له بكل عضو منها عضواً من النار حتى فَرْجه بفَرْجه»[٣]، وقوله ﷺ: «لا يستر عبد عبداً في الدنيا إلا ستره الله يوم القيامة»[٤] والستر هنا شامل لمعايب العبد وعورته[٥]، وقول أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه -: «أيما مسلم

---

(١) المستدرك، للحاكم: (٤/ ٣٠٦)، وقال: (صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه)، ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في صحيح الجامع: (١/ ٢٤٣) رقم: (١٠٧٧).

(٢) مسلم: (٢/ ١٥٠٥)، رقم: (١٨٩٢).

(٣) أخرجه البخاري رقم: (٦٧١٥)، الفتح: (١١/ ٦٠٧).

(٤) مسلم: (٣/ ٢٠٠٢)، رقم: (٢٥٩٠).

(٥) انظر: تحفة الأحوذي، للمباركفوري: (٨/ ٢١٥).

كسا مسلماً ثوباً على عري كساه الله من خَضِر الجنة، وأيما مسلم أطعم مسلماً على جوع أطعمه الله من ثمار الجنة، وأيما مسلم سقى مسلماً على ظمأ سقاه الله من الرحيق المختوم» [١].

ولا يقتصر الأمر على المجازاة على الصدقة بمثلها بل الأمر يتجاوز ذلك إلى حال المتصدَق عليه؛ إذ بمقدار إدخالها للسرور عليه، وإزالتها لشدائده، وتفريجها لمضايقه، وإصلاحها لحاله، ومعونتها له، وسترها عليه ينال المتصدق أجره من الله من جنس ذلك، يدل لذلك قوله ﷺ: «من نفَّس عن مؤمن كُربة من كرب الدنيا نفَّس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسَّر على معسر يسَّر الله عليه في الدنيا والآخرة، ومن ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه» [٢]، وقوله ﷺ: «من يلق أخاه المسلم بما يحب لِيَسُرَّه بذلك، سرّه الله يوم القيامة» [٣].

---

(١) سنن أبي داود: (٢/ ١٣٠)، رقم: (١٦٨٢) مرفوعاً، وقد جعله ابن حجر الهيتمي في الزواجر: (١/ ٣١٨-٣٢٠) غير نازل عن رتبة الحسن، و ضعف رفعه غير واحد، وهو الظاهر، وقال أبو حاتم كما في علل الحديث لولده: (٢/ ١٧١) رقم: (٢٠٠٧)-: «الصحيح موقوف، والحفاظ لا يرفعونه»، وقال الترمذي في جامعه: (٤/ ٦٣٣) رقم: (٢٤٤٩) عن وقفه -: «وهذا أصح عندنا وأشبه»، وانظر تعليق الأرناؤوط على المسند (١٧/ ١٦٧)، ضعيف الجامع، للألباني: (٣٣٠)، رقم: (٢٢٤٩)، ولا يخفى أن مثله إذا ثبت موقوفاً فمرده إلى السماع لا الرأي.

(٢) مسلم: (٣/ ٢٠٧٤) رقم: (٢٦٩٩).

(٣) المعجم الصغير، للطبراني: (٢/ ٢٨٨) رقم: (١١٧٨) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد -(٨/ ١٩٣)-: «وإسناده حسن».

وقد أخبر النبي ﷺ بوقوع ذلك فقال ﷺ: «كان تاجر يداين الناس فإذا رأىٰ معسراً قال لفتيانه: تجاوزوا عنه، لعلَّ الله أن يتجاوز عنا. فتجاوز الله عنه»[1].

وقال ﷺ: «إن رجلاً لم يعمل خيراً قط[2]، وكان يداين الناس فيقول لرسوله: خذ ما تيسر، واترك ما تعسر، وتجاوز لعلَّ الله يتجاوز عنا. قال: فلما هلك، قال الله: هل عملت خيراً قط؟ قال: لا إلا أنه كان لي غلام، وكنت أداين الناس، فإذا بعثته ليتقاضىٰ، قلت له: خذ ما تيسر واترك ما تعسر، وتجاوز لعلَّ الله يتجاوز عنا. قال الله ـ تعالىٰ ـ قد تجاوزت عنك»[3].

وعن حذيفة ـ رضي الله عنه ـ قال: «أُتيَ اللهُ بعبدٍ من عباده آتاه الله مالاً فقال له: ماذا عملت في الدنيا؟ قال: ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٤٢] قال: ما عملت من شيء ـ يا ربِّ ـ إلا أنك آتيتني مالاً فكنت أبايع الناس، وكان من خُلقي أن أيسر علىٰ الموسر وأنظر المعسر، قال الله

(١) أخرجه البخاري رقم: (٢٠٧٨)، الفتح: (٤/ ٣٦١).

(٢) أي سوىٰ الإسلام بما له من أركان لا يقوم بدونها كما أبان ذلك أبو حاتم. انظر: صحيح ابن حبان: (١١/ ٤٢٣).

(٣) المستدرك، للحاكم: (٢/ ٢٨)، وصححه علىٰ شرط مسلم، ووافقه الذهبي، صحيح ابن حبان: (١١/ ٤٢٢) رقم: (٥٠٤٣)، وصححه الألباني في صحيح الجامع: (١/ ٤١٧) رقم: (٢٠٧٧).

ـ تعالىٰ ـ: أنا أحق بذلك منك، تجاوزوا عن عبدي»، قال عقبة بن عامر الجهني وأبو مسعود الأنصاري: هكذا سمعنا من في رسول الله ﷺ[١].

فيا من يرىٰ ضخامة ذنبه، وعظم تقصيره في حق ربه، اشتر نفسك وأكثر صدقتك فداءً لنفسك، وتفريجاً لكربتك، وإزالة لشدتك في قبرك وبين يدي ربك؛ فإن اليوم عمل ولا حساب وغداً حساب ولا عمل، «ومن بطّأ به عمله لم يسرع به نسبه» [٢].

١٢ ـ إظلالها لصاحبها في المحشر:

في المحشر حرٌّ شديد يفوق الوصف، إذ يمكث العباد فيه مدة طويلة مقدارها خمسين ألف سنة لا يأكلون ولا يشربون، والشمس دانية من رؤوسهم ليس بينهم وبينها إلا مقدار ميل فترتوي الأرض من عرقهم ويذهب فيها سبعين ذراعاً ثم يرتفع فوقها، فيكون الناس في العرق علىٰ قدر أعمالهم فمنهم من يكون العرق إلىٰ كعبيه، ومنهم من يكون إلىٰ ركبتيه، ومنهم من يكون إلىٰ حقويه، ومنهم من يلجمه العرق إلجاماً [٣].

وهناك آخرون من ذوي الأعمال الجليلة والرتب الرفيعة لا يعانون من شيء من ذلك، ومن هؤلاء: المتصدقون الذين أفادت النصوص بأنهم

---

(١) المستدرك، للحاكم: (٢/ ٣٠٦)، وصححه الألباني في صحيح الجامع: (١/ ٨٥) رقم: (١٢٥).
«من في رسول الله ﷺ» أي: من فمه.

(٢) مسلم: (٣/ ٢٠٧٤)، رقم: (٢٦٩٩).

(٣) انظر: مسلم: (٣/ ١٩٦)، رقم: (٢٦٨٣، ٢٦٨٤).

يكونون في المحشر في ظلِّ صدقاتهم تحميهم شدة الحر وتدفع عنهم وهج الشمس[(١)]، ومن ذلك قوله ﷺ: «كل امرئ في ظلِّ صدقته حتى يُفصل بين الناس»[(٢)].

ولا يتوقف الأمر على ذلك بل إن العبد متى فرَّج عن غريمه أو عفا عنه، ومتى ما أسرَّ بصدقته وأخفاها كان ذلك مؤهلاً له للاستظلال في ذلك الموقف العظيم تحت العرش، يدل لذلك قوله ﷺ: «من نفَّس عن غريمه أو محا عنه كان في ظل العرش يوم القيامة»[(٣)]، وقوله ﷺ: «سبعة يظلهم الله تعالى في ظله يوم لا ظل إلا ظله - وذكر منهم -: ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه»[(٤)].

وقد أدرك السلف هذا الأمر واستوعبوه، فاعتنوا بالصدقة والإنفاق في مرضاة الله - تعالى - أيما عناية، ومواقفهم في ذلك أكثر من أن تحصر، ومن ذلك أن الفاروق عمر - رضي الله عنه - أرسل بأربعمائة دينار مع غلام إلى أبي عبيدة، وقال للغلام: تَلَهَّ ساعة في البيت حتى تنظر ما

---

(١) انظر: فيض القدير، للمناوي: (٢/ ٣٦٣)، سبل السلام، للصنعاني: (٢/ ١٤١).

(٢) المسند، لأحمد: (٢٨/ ٥٦٨)، رقم: (١٧٣٣٣)، وصححه ابن خزيمة: (٤/ ٩٤) رقم: (٢٤٣١)، وابن حبان: (٨/ ١٠٤)، رقم: (٣٣١٠)، والحاكم: (١/ ٤١٦).

(٣) المسند، لأحمد: (٥/ ٣٠٠)، سنن الدارمي: (٢/ ٣٤٠) رقم: (٢٥٨٩)، وصححه الألباني في صحيح الجامع: (٢/ ١١١٩)، رقم: (٦٥٧٦).

(٤) أخرجه البخاري رقم: (١٤٢٣)، الفتح: (٣/ ٣٤٤).

يصنع. فذهب بها الغلام إليه، فقال: يقول لك أمير المؤمنين: اجعل هذه في بعض حاجتك. فقال: وصله الله ورحمه. ثم قال: تعالي يا جارية، اذهبي بهذه السبعة إلىٰ فلان، وبهذه الخمسة إلىٰ فلان. حتىٰ أنفدها، فرجع الغلام إلىٰ عمر فأخبره، ووجده قد أعدَّ مثلها لمعاذ، فقال: اذهب بها إلىٰ معاذ بن جبل ثم تَلَهَّ في البيت ساعة حتىٰ تنظر ما يصنع. فذهب بها إليه، فقال: يقول لك أمير المؤمنين: اجعل هذه في بعض حاجتك. فقال: وصله ورحمه، تعالي يا جارية، اذهبي إلىٰ فلان بكذا، وإلىٰ بيت فلان بكذا، وإلىٰ بيت فلان بكذا. فاطلعت امرأة معاذ فقالت: نحن والله مساكين فأعطنا. فلم يبق في الخرقة إلا ديناران فدفع بهما إليها، ورجع الغلام إلىٰ عمر فأخبره فسُرَّ بذلك، وقال: إنهم إخوة بعضهم من بعض»(١).

وهذا مرثد المزني الفقيه الثَّبْت كان لا يخطئه يوم لا يتصدق فيه بشيء، ولا يخرج إلىٰ المسجد إلا وفي كمه صدقة إما فلوس وإما خبز وإما قمح، حتىٰ ربما شوهد ومعه في كمه بصل، فيقال له: إن هذا ينتن ثيابك. فيقول: إني لم أجد في البيت شيئاً أتصدق به غيره، إنه حدثني رجل من أصحاب رسول الله ﷺ: أن رسول الله ﷺ قال: «ظل المؤمن يوم القيامة صدقته» (٢).

---

(١) الزهد، لابن المبارك: (١٧٨) رقم: (٥١١)، المعجم الكبير، للطبراني: (٢٠/ ٣٣)، (٤٦).

(٢) صحيح ابن خزيمة: (٤/ ٩٥).

وهذا شبيب بن شيبة يقول: «كنا بطريق مكة وبين أيدينا سفرة لنا نتغدىٰ في يوم قائظ، فوقف علينا أعرابي ومعه جارية له زنجية فقال: يا قوم أفيكم أحد يقرأ كلام الله حتىٰ يكتب لي كتاباً؟ قال: قلنا: أصب من غدائنا حتىٰ نكتب لك ما تريد. قال: إني صائم. فعجبنا من صومه في تلك البريَّة، فلما فرغنا من غدائنا دعونا به، فقلنا: ما تريد؟ فقال: أيها الرجل، إن الدنيا قد كانت ولم أكن فيها وستكون ولا أكون فيها، فإني أردت أن أعتق جاريتي هذه لوجه الله وليوم العقبة، أتدري ما يوم العقبة؟! قوله - عز وجل -: ﴿فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ﴾ [البلد: ١١ - ١٣]، فاكتب ما أقول لك ولا تزيدن حرفاً، هذه فلانة خادم فلان قد أعتقها لوجه الله وليوم العقبة. قال شبيب: فأتيت بغداد فحدثت بهذا الحديث المهدي، فقال: مائة نسمة تُعتق علىٰ عهدة الأعرابي»[1].

١٣ - توفيتها نقص الزكاة الواجبة:

أوجب الله الزكاة وجعلها أهم أركان الإسلام العملية بعد الصلاة فقال - سبحانه -: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ [البقرة: ٤٣]، كما عد عدم إخراجها من خصال المشركين فقال - تعالىٰ -:

---

(١) شعب الإيمان، للبيهقي: (٤/ ٦٩)، رقم: (٤٣٤٤).

﴿وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ۝ الَّذِينَ لا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾ [فصلت: ٦، ٧]، ورتَّب الوعيد الشديد على البخل بها وعدم إخراجها فقال ـ عز وجل ـ: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ﴾ [التوبة: ٣٤، ٣٥]، وقال ﷺ: «من آتاه الله مالاً فلم يؤد زكاته، مُثّل له ماله شجاعاً أقرع، له زبيبتان، يطوقه يوم القيامة ثم يأخذ بلهزمتيه ـ يعني شدقيه ـ يقول: أنا مالك، أنا كنزك. ـ ثم تلا هذه الآية ـ: ﴿وَلا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُم بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾.

[آل عمران: ١٨٠]»[١].

ولا يتوقف الأمر على ذلك؛ إذ قال عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ: «ما مانع الزكاة بمسلم»[٢]، وذهب بعض أهل العلم ـ وإن كان خلاف الراجح ـ إلى كفر من لا يخرج الزكاة بخلاً بها أخذاً من قوله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ﴾ [التوبة: ١١]، والتي رتَّب الله ـ تعالى ـ فيها ثبوت أخوة الدين على هذه الأوصاف مجتمعة فإذا لم تجتمع انتفت الإخوة الدينية، وهي

(١) أخرجه البخاري رقم: (١٤٠٣)، الفتح: (٣/ ٣١٥).

(٢) المصنف، لابن أبي شيبة: (٢/ ٣٥٣).

التي لا تنتفي بحال إلا بانتفاء الإيمان وخروج العبد من الإسلام (١).

ونظراً لكون الزكاة بهذه المنزلة والأهمية، والعبد عرضة للتقصير في أدائها أو السهو في إخراجها أو الخطأ في حسابها فقد شرع الله - رحمة بخلقه وإحساناً إليهم - صدقة التطوع لتكون توفية لنقصها، وجبراناً لخللها، وإكمالاً للعجز الحاصل فيها، يدل لذلك حديث تميم الداري - رضي الله عنه - مرفوعاً قال: «أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة الصلاة؛ فإن كان أكملها كتبت له كاملة، وإن كان لم يكملها قال الله - تبارك وتعالى - لملائكته: هل تجدون لعبدي تطوعاً تكملوا به ما ضيع من فريضته، ثم الزكاة مثل ذلك، ثم سائر الأعمال على حسب ذلك»(٢)، والذي يدل على أنه ينظر في زكاة العبد فإن كملت كتبت له تامة، وإن ضيع شيئاً منها نظر هل له من الصدقة ما يتم به نقص الفرض، فإن لم يكن له منها ما يتم به نقص الفرض كان معرضاً للعقاب الشديد

---

(١) الفروع، لابن مفلح: (١/ ٢٩٦)، الشرح الممتع، لابن عثيمين: (٦/ ٨)، والذي بين - حفظه الله - أن هذا القول له وجه جيد في الاستدلال بهذه الآية، ثم أوضح بأنها مخصوصة فقال: «لكن دل حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - الثابت في صحيح مسلم (١/ ٦٨٢ رقم: ٩٨٧) على أن الزكاة ليس حكمها حكم الصلاة - أي في الخروج من الإسلام بتركها تهاوناً وكسلاً - حيث ذكر النبي ﷺ مانع زكاة الذهب والفضة، وذكر عقوبته، ثم قال: «ثم يرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار»، ولو كان كافراً لم يكن له سبيل إلى الجنة».

(٢) سنن أبي داود: (١/ ٥٤١)، رقم: (٨٦٦)، المستدرك، للحاكم: (١/ ٢٦٢، ٢٦٣) وصححه الألباني في صحيح الجامع: (١/ ٥٠٣)، رقم: (٢٥٧٤).

الذي أوضحته النصوص، وذلك إن لم يتغمده الله بعفو منه وتجاوز [١].

١٤ ـ أنها كنز لصاحبها يوم القيامة:

توزن الأعمال يوم القيامة، فيكون العبد أحوج ما يكون إلى عمل صالح يثقل به ميزانه؛ ليكون ذلك سبب سعادته وفلاحه كما قال ـ تعالى ـ: ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٢، ١٠٣]، والصدقة من الأعمال الجليلة التي أخبر ﷺ بأن العبد يدخرها لغده، ويكتنزها لنفسه، ويجدها عند ربه إذا قدم إليه ووقف بين يديه وافرة محفوظة، يشهد لذلك قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا﴾ [المزمل: ٢٠]، وقوله ـ سبحانه ـ: ﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ اللَّهِ بَاقٍ﴾ [النحل: ٩٦].

والنصوص النبوية الدالة على أن الصدقة ذخر لصاحبها وكنز له كثيرة منها: قوله ﷺ: «يقول ابن آدم: مالي مالي، وهل لك ـ يا ابن آدم ـ من مالك إلا ما أكلت فأفنيت، أو لبست فأبليت، أو تصدقت فأمضيت؟!»[٢]، وفي رواية: «إنما له من ماله ثلاث: ما أكل فأفنى، أو لبس

(١) انظر: شرح الموطأ، للزرقاني: (١/ ٥٠١)، فيض القدير، للمناوي: (٣/ ٩٥)، سبل السلام، للصنعاني: (٢/ ١٤١).

(٢) مسلم: (٦/ ٢٢٧٣)، رقم: (٢٩٥٨).

فأبلىٰ، أو أعطىٰ فاقتنىٰ، وما سوىٰ ذلك فهو ذاهب وتاركه للناس»(١).

بل إنه ﷺ جعل الصدقة هي مال العبد الحقيقي فقال ﷺ: «أيكم ماله أحب إليه من مال وارثه؟ قالوا: يا رسول الله، ما منا أحد إلا ماله أحب إليه من مال وارثه. قال: اعلموا ما تقولون. قالوا: ما نعلم إلا ذاك يا رسول الله. قال: ما منكم رجل إلا مال وارثه أحب إليه من ماله. قالوا: كيف يارسول الله؟ قال: إنما مال أحدكم ما قدّم، ومال وارثه ما أخّر»(٢).

وقد حرص النبي ﷺ علىٰ غرس هذا الأمر وتقريره في نفوس صحابته فعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ: «أن رسول الله ﷺ أمر أن تذبح شاة فيقسمها بين الجيران، قال: فذبحتها فقسمتها بين الجيران، ورفعت الذراع إلىٰ النبي ﷺ وكان أحب الشاء إليه الذراع، فلما جاء النبي ﷺ قالت عائشة: ما بقي عندنا منها إلا الذراع. قال: كلها بقي إلا الذراع»(٣).

---

(١) مسلم: (٦/ ٢٢٧٣)، رقم: (٢٩٥٩).

(٢) أخرجه البخاري رقم: (٦٤٤٢)، الفتح: (١١/ ٢٦٥)، صحيح ابن حبان: (٨/ ١٢٢) رقم: (٣٣٣)، واللفظ له.

(١) مختصر زوائد مسند البزار، لابن حجر: (١/ ٣٩٠)، وحسنه الحافظ، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد: (٣/ ١٠٩)، وقال: «رواه البزار، ورجاله ثقات».

وقد استوعب أصحاب رسول الله ﷺ ذلك فزهدوا في الدنيا وأكثروا من الصدقة، فها هو ﷺ يأمر أصحابه يوماً أن يتصدقوا، يقول عمر - رضي الله عنه -: «فوافق ذلك مالاً عندي، فقلت: اليوم أسبق أبا بكر إن سبقته يوماً، فجئت بنصف مالي، فقال رسول الله ﷺ: ما أبقيت لأهلك؟ قلت: مثله. وأتى أبو بكر - رضي الله عنه - بكل ما عنده، فقال له رسول الله ﷺ: ما أبقيت لأهلك؟، قال: أبقيت لهم الله ورسوله. قلت: لا أسابقك إلى شيء أبداً»[1].

وها هو عثمان - رضي الله عنه - يجهز جيش العسرة، ويشتري بئر رومة، وأرضاً بجوار المسجد ليوسع به من صلب ماله[2]، وها هو طلحة ابن عبيد الله - رضي الله عنه - يتصدق يوماً بمائة ألف درهم وأخر أربعمائة ألف، وباع أرضاً له بسبعمائة ألف، فبات أرقاً من مخافة المال حتى أصبح ففرقه»[3]، ومعاذ - رضي الله عنه - كان يعطي حتى ادّان ديناً أغلق ماله[4].

---

(١) سنن أبي داود: (٢/ ٣١٢) رقم: (١٦٧٨)، وجامع الترمذي: (٥/ ٦١٤)، رقم: (٣٦٧٥)، وقال: حسن صحيح، وحسنه الألباني في صحيح أبي داود: (١/ ٣١٥)، رقم: (١٤٧٢).

(٢) جامع الترمذي: (٥/ ٦٢٧)، رقم: (٣٧٠٣)، وقال: «حديث حسن». وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي: (٣/ ٢٠٩)، رقم: (٢٩٢١).

(٣) الحلية، لأبي نعيم: (١/ ٨٨).

(٤) الحلية، لأبي نعيم: (١/ ٢٣١).

وها هو عبد الرحمن بن عوف - رضي الله عنه - يسمع رسول الله ﷺ يحث على الصدقة فيقول: «يا رسول الله، عندي أربعة آلاف: ألفان أقرضهما ربي، وألفان لعيالي» [١]، ثم تصدق بعد ذلك بأربعين ألف، ثم تصدق بأربعين ألف دينار، ثم حمل على خمسمائة فرس في سبيل الله، ثم على ألف وخمسمائة راحلة في سبيل الله» [٢].

وها هو أبو الدحداح - رضي الله عنه - لما نزلت: ﴿مَن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾ [البقرة: ٢٤٥]، جاء إلى النبي ﷺ فقال: يا نبي الله، أرى ربنا يستقرضنا مما أعطانا لأنفسنا، وإن لي أرضين إحداهما بالعالية والأخرى بالسافلة، وإني قد جعلت إحداهما صدقة. قال: فكان النبي ﷺ يقول: «كم من عذق مذلل لأبي الدحداح في الجنة» [٣].

وها هو سعيد بن عامر الجمحي - رضي الله عنه - بعث إليه عمر بألف دينار، وقال: استعن بها على أمرك. فقالت امرأته: الحمد الله الذي أغنانا عن خدمتك. فقال لها: فهل لك في خير من ذلك؟ ندفعها إلى من يأتينا بها أحوج ما نكون إليها. قالت: نعم! فدعا رجلاً من أهل بيته يثق

---

(١) مختصر زوائد البزار، لابن حجر: (٢/ ٨٥) رقم: (١٤٦٩).

(٢) الحلية، لأبي نعيم: (١/ ٩٩).

(٣) جامع البيان، للطبري: (٥/ ٢٨٣)، رقم: (٥٦١٨)، سنن سعيد بن منصور: (٣/ ٩٣٤)، رقم: (٤١٧)، وهو صحيح لغيره بمجموع طرقه كما يقول د. الحميد.

به فصررها صرراً ثم قال: انطلق بهذه إلى أرملة آل فلان، وإلى يتيم آل فلان، وإلى مسكين آل فلان، وإلى مبتلى آل فلان. فبقيت منه ذهيبة فقال: أنفقي هذه. ثم عاد إلى عمله فقالت: ألا تشتري لنا خادماً؟ وما فعل ذلك المال؟! قال: سيأتيك أحوج ما تكونين»[1].

وأخبارهم - رضي الله عنهم - في الزهد بالدنيا والادخار للآخرة أكثر من أن تحصى.

وما أجمل مقولة الشاعر:

تُجود بالمال على وارثٍ ... ولا ترى أهلاً له نفسَكَا

قدِّم حسنَ الظن بالله مَن ... جاد، وسوءَ الظن مَن أمسكَا

وقولة الآخر:

يا مانعَ المال، كم تظنُّ به ... تطمعُ بالله في الخلود معَه!

هل حمل المالَ ميت معه ... أم تراه لغيره جمَّعَه!

فكن كيساً يا عبد الله، وآثر آخرتك فإنها أعظم من الأولى، وما عند الله لك خير وأبقى.

١٥ - جريان أجر الباقي منها بعد الموت:

حياة العبد دار امتحانه وموضع سعيه، وبموته ينقطع عمله ويتوقف

---

(١) الحلية، لأبي نعيم: (١/ ٢٤٦)

كسبه فلا ينقص من حسناته ويزاد إلا بأعمال محددة جلاها الشارع وأوضحتها النصوص[١]، ومن أجلِّ هذه الأعمال وأبرزها الصدقة الباقية بعد موت العبد سواء ما كان منها في سبيل نصرة الدين أم في تخفيف معاناة المعوزين، والأدلة على ذلك عديدة منها: قوله ﷺ: «إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاثة:ـ وذكر منهاـ صدقة جارية»[٢]، وقوله ﷺ: «أربعة تجري عليهم أجورهم بعد الموت ـ وذكر منهم ـ ورجل تصدق بصدقة فأجرها له ما جرت»[٣].

وقد وردت أحاديث تعدد أنواعاً من هذه الصدقة الجارية[٤]، ومنها:

---

(١) جمع السيوطي الأعمال التي تجري للعبد بعد الموت في قوله:

إذا مات ابنُ آدم ليس يجري	عليه من فعال غيرُ عشرِ
علومٌ بثَّها، ودعاءُ نجل	وغرسُ نخل، والصدقات تجري
وراثة مصحف، ورباطُ ثغر	وحفر البئر أو إجراءُ نهر
وبيتٌ للغريبِ بناه يأوي	إليه، أو بناءُ محلِ ذكر

ثم أضاف:

وتعليمٌ لقرآنٍ كريمٍ	فخذهُ من أحاديثَ بحَصْر

انظر: الديباج: (٤/ ٣٢٨)، دليل الفالحين، لابن علان: (٣/ ٤٣٤).

(٢) مسلم: (٢/ ١٢٥٥)، رقم: (١٦٣١).

(٣) المسند، لأحمد: (٥/ ٢٦١)، المعجم الكبير، للطبراني: (٨/ ٢٠٥) رقم: (٧٨٣١)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع: (١/ ٢١٢)، رقم: (٨٧٧).

(٤) انظر: الترغيب والترهيب، للمنذري: (١/ ٩٧)، فيض القدير، للمناوي: (٤/ ٨٤).

قوله ﷺ: «إن مما يلحق المؤمن من عمله وحسناته بعد موته» ـ وذكر من ذلك ـ: «ومصحفاً ورَّثه، أو مسجداً بناه، أو بيتاً لابن السبيل بناه، أو نهراً أجراه، أو صدقة أخرجها من ماله في صحته وحياته يلحقه بعد موته»[1]، وقوله ﷺ: «سبعة يجري للعبد أجرهن بعد موته وهو في قبره ـ وذكر منها ـ: أو كرىٰ نهراً[2] أو حفر بئراً، أو غرس نخلاً، أو بنىٰ مسجداً، أو ورَّث مصحفاً»[3].

والصدقة الجارية كالوقف ونحوه من آثار العبد وبقايا عمله التي أخبر ـ سبحانه ـ بأنه يكتبها له، وذلك في قوله ـ تعالىٰ ـ: ﴿وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ [يس: ١٢]، ومعناه: أن الله يكتب أعمال العباد التي باشروها في حياتهم، وآثارهم التي أثروها من بعدهم، فيجزيهم علىٰ ذلك إن خيراً فخير وإن شراً فشر[4].

يقول سيد قطب: «كل ما قدمت أيديهم من عمل، وكل ما خلفته أعمالهم من آثار، كلها تكتب وتحصىٰ، فلا يند منها شيء ولا ينسىٰ»[5]،

---

(١) سنن ابن ماجه: (١/ ٨٨) رقم: (٢٤٢)، وذكر في الزوائد تحسين ابن المنذر له، وحسنه الألباني في صحيح الجامع: (١/ ٤٤٣)، رقم: (٢٢٣١).

(٢) أي حفره وأخرج طينه. انظر: لسان العرب: (٥/ ٣٨٦٧).

(٣) كشف الأستار، للهيثمي: (١/ ١٤٩)، جامع المسانيد والسنن، لابن كثير: (٢٣/ ١٩٩) رقم: (٢٦٥٩)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع: (١/ ٦٧٤) رقم: (٣٦٠٢).

(٤) انظر: معالم التنزيل، للبغوي: (٧/ ٩)، تفسير القرآن العظيم، لابن كثير: (٦/ ٥٦٥).

(٥) في ظلال القرآن، لسيد قطب: (٥/ ٢٩٦٠).

ولأبي السعود كلام أجلى يقول فيه: «﴿ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا﴾ أي ما أسلفوا من الأعمال الصالحة وغيرها، ﴿وَآثَارَهُمْ﴾ التي أبقوها من الحسنات كعلم علموه أو كتاب ألفوه أو حبيس وقفوه أو بناء بنوه من المساجد والرباطات والقناطر وغير ذلك من وجوه البر، ومن السيئات كتأسيس قوانين الظلم والعدوان وترتيب مبادئ الشر والفساد فيما بين العباد وغير ذلك من فنون الشر التي أحدثوها وسنوها لمن بعدهم من المفسدين»[1]. فلو لم يكن في الصدقة من فضل إلا هذا لكان فيه كفاية لمن عقل وأراد النجاة.

فيا من إذا مات انقطع عمله، وفاته أمله، وحق ندمه، وتوالى همُّه، احرص على ما ينفعك، وأكثر صدقتك التي يجري أجرها لك بعد موتك، فإن ذلك قرض منك لك مدخر عند ربك[2].

١٦ـ مشروعية إهداء ثوابها للميت:

أوجب الله البر بالوالدين، وحثَّ على صلة الأقربين، والإحسان إلى الآخرين، وإن من أعظم البر بعد البر، والصلة بعد الصلة، وأرفع الإحسان بعد الإحسان نفع من كان يُبَر في حياته ويوصل ويحسن إليه، إذا أدخل في قبره وتوقَّف كسبه وبدأت آخرته، والسعي في إيصال

(١) إرشاد العقل السليم، لأبي السعود: (٧/ ١٦١).

(٢) انظر: فيض القدير، للمناوي: (٢/ ١٦).

الثواب إليه وهو أحوج ما يكون إلى ذلك بفعل بعض الطاعات والقُرَب التي أفاد الشارع بوصول ثوابها إلى الميت[1]، ويأتي في طليعة تلك الأعمال: الصدقة عليه، والتي أجمع علماء أهل السنة على نفعها له ولحوق ثوابها به للنصوص الصحيحة الواردة في ذلك[2]، ومنها: حديث عائشة - رضي الله عنها -: «أن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، إن أمي افتُلِتَت نفسُها[3] ولم توصي، وأظنها لو تكلمت تصدقت. أفلها أجر إن تصدقت عنها؟ قال: نعم»[4].

وحديث أبي هريرة - رضي الله عنه -: «أن رجلاً قال للنبي ﷺ: إن أبي مات وترك مالاً ولم يوص، فهل يكفر عنه أن أتصدق عنه؟ فقال: نعم»[5].

---

(١) اختلف الناس في جواز إهداء ثواب القرب إلى الميت، على أقوال: فمنع المعتزلة من ذلك مطلقاً، وأجاز قوم ذلك مطلقاً، وفصل آخرون فأجازوا ذلك في بعض الأعمال دون بعض على خلاف، والراجح: جواز إهداء ثواب الطاعات التي دلت النصوص الصحيحة على وصول ثوابها إلى الميت كالصدقة عنه والدعاء له والحج عنه، أما مالم يثبت فيه دليل صحيح فهو باق على المنع لأن الأصل في العبادات التوقيف

انظر: المغني، لابن قدامة: (٣/ ٥١٩ - ٥٢٣)، نيل الأوطار، للشوكاني: (٤/ ١٤٢، ١٤٣)، فتاوى اللجنة الدائمة: (٩/ ٤٣).

(٢) انظر حكاية الإجماع في: شرح مسلم، للنووي: (٧/ ١٢٥)، المغني، لابن قدامة: (٣/ ٥١٩)، شرح الموطأ، للزرقاني: (٤/ ٧٢).

(٣) أي: ماتت فجأة، انظر: فتح الباري، لابن حجر: (٣/ ٣٠٠).

(٤) صحيح البخاري رقم: (١٣٨٨)، الفتح: (٣/ ٢٩٩)، مسلم: (١/ ٦٩٦)، رقم: (١٠٠٤).

(٥) المسند، لأحمد: (١٤/ ٤٣٦) رقم: (٨٨٤١)، مسلم: (٢/ ١٢٥٤)، رقم: (١٦٣٠).

وحديث ابن عباس - رضي الله عنهما -: «أن سعد بن عبادة - رضي الله عنه - توفيت أمه وهو غائب عنها فقال: يا رسول الله، إن أمي توفيت وأنا غائب عنها، أينفعها شيء تصدقت به عنها ؟ قال: نعم. قال: فإني أشهدك أن حائطي المخراف [(١)] صدقة عليها» [(٢)].

وحديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده: «أن العاص بن وائل نذر في الجاهلية أن ينحر مائة بدنة، وأن هشام بن العاص نحر حصَّته خمسين بدنة، وأن عمراً سأل النبي ﷺ عن ذلك. فقال: أما أبوك، فلو أقر بالتوحيد فصُمْتَ وتصدقت عنه نفعه ذلك» [(٣)]، قال الشوكاني - في شرحه له -: «فأخبره أن موت أبيه على الكفر مانع من وصول نفع ذلك إليه، وأنه لو أقر بالتوحيد لأجزأ ذلك عنه ولحقه ثوابه» [(٤)].

وليس ذلك مقصوراً على صدقة الولد عن والديه [(٥)]، بل: إن تصدُّق الصاحب ينفع الميت كما يدل عليه حديث واثلة بن الأسقع

---

(١) المخراف: البستان والمكان المثمر، انظر: فتح الباري، لابن حجر: (٥/ ٤٥٤).

(٢) المسند، لأحمد: (٥/ ٢٠١)، رقم: (٣٠٨٠)، البخاري رقم: (٢٧٥٩)، الفتح: (٥/ ٤٥٣).

(٣) المسند، لأحمد: (١١/ ٣٠٧)، رقم: (٦٧٠٤)، السنن الكبرى، للبيهقي: (٦/ ٢٧٩). وحسن إسناده الأرناؤوط.

(٤) نيل الأوطار للشوكاني: (٤/ ١٤١).

(٥) كما ذهب إلى ذلك جماعة من أهل العلم منهم: الشوكاني في نيل الأوطار: (٤/ ١٤٢)، وانظر: الفتح، لابن حجر: (٥/ ٣٩٠).

ـ رضي الله عنه ـ قال : كنا مع النبي ﷺ في غزوة تبوك فأتاه نفر من بني سليم، فقالوا : يا رسول الله، إن صاحباً لنا قد أوجب[١]. فقال رسول الله ﷺ : «أعتقوا عنه رقبة يعتق الله بكل عضو منها عضواً منه من النار»[٢].

وحين علم أصحاب رسول الله ﷺ بهذه الميزة العظيمة للصدقة ـ وهم مَن هُمْ براً وفضلاً وإحساناً ـ بادروا إلى التصدق عن أمواتهم، ومن ذلك : أن عبد الرحمن بن عوف ـ رضي الله عنه ـ تصدق عن والدته بعتق عشر رقاب[٣]، وأعتقت عائشة ـ رضي الله عنها ـ عن أخ لها مات في منامه تلاداً من تلاده[٤].

فيا صاحب الخلق الجميل، ويا من لا تنسى بِرَّ من بَرك، ومعروف من أحسن إليك؛ ردَّ بِرَّهم ببرٍّ أعظم، وفضلهم بفضل أجل، وهم في دار الحسرة أشد ما يكونون اضطراراً إلى تفضلك ومعروفك، فإن الأيام دول

---

(١) أي : استحق النار بالقتل إن لم يتغمده الله برحمة منه . انظر : سنن أبي داود : (٤/ ٢٧١)، رقم: (٣٩٦٤) .

(٢) المستدرك، للحاكم: (٢/ ٢١٢)، صحيح ابن حبان: (١٠/ ١٤٥) رقم: (٤٣٠٧)، وقال الأرناؤوط: «إسناده صحيح».

(٣) المصنف، لعبد الرزاق: (٩/ ٦٠)، رقم: (١٦٣٤٢) .

(٤) السنن الكبرى، للبيهقي: (٦/ ٢٧٩)، وقال: «تلاداً من تلاده، يعني: مماليك قدماء، والتلاد كل مال قدم» .

وكما تدين تدان، فكما تبر والديك وتحسن إلى ذويك وأهل الفضل عليك؛ يبرك أولادك ويحسن ذووك إليك ومن تفضلت عليهم في دنياك .

١٧ـ سترها عيوب العبد، واستجلابها محبة الناس وحمدهم ودعاءهم له :

الصدقة والبر وصنائع الخير حارسة لعرض صاحبها، غافرة لزلته، ساترة لعيوبه، متجاوزة عن هفواته، وفي المقابل فلؤم العبد وشحه من دواعي هتك عرضه، وتتبع زلاته، وكشف عيوبه، وإظهار هفواته، قال الشاعر :

ويُظهر عَيْبَ المرء في الناس بخلُه ويستره عنهُم جميعاً سَخاؤُه

تغطّ بأثواب السخاءِ فإنني أرى كلَّ عيبٍ والسخاءُ غطاؤُه

وهي من أسباب القُرْب من العباد، ونيل مودتهم ودعائهم وتعظيمهم، والحصول على شكرهم وثنائهم، فصاحبها محمود الأثر في الدنيا يحبه البعيد والداني، ويألفه المتسخط والراضي، لأن صاحبها بعمله ذلك يرتهن الشكر، ويسلف المعروف ليربح المحبة والدعاء والحمد .

ولا يقتصر نيل المتصدق للمحبة والشكر والدعاء من المتصدق عليهم فقط، بل إنه ليود المتصدق ويحمده ويدعو له من لا ينال الصدقة ولا تقدم إليه، قال أبو الفتح البستي :

أحسنْ إلى الناس تستعبد قلوبَهُمُ فطالما استعبدَ الإنسانَ إحسانُ

مَن جاد بالمال مالَ الناس قاطبة إليه، والمال للإنسان فتّانُ

أحسنْ إذا كان إمكانٌ ومقدرةٌ فلن يدوم على الإنسان إمكانُ

وعلى الضدِّ من ذلك فالبخيل ليس له خليل، وهو بشُحِّه يستجلب السخط، ويستدعي الذم والبغض، فاللائق بالعاقل إذا أمكنه الله - تعالى - من حطام هذه الدنيا، وعلم زوالها عنه، وانقلابها إلى غيره، وأنه لاينفعه في الآخرة إلا ما قدم من الأعمال الصالحة، أن يكثر من الصدقات، وأعمال البر، وصنائع المعروف، مبتغياً بذلك الثواب في العقبى، والذكر الجميل في الدنيا؛ إذ السخاء محبة ومحمدة، وسبب لنيل الدعوة بالخير، والبخل مذمة، ومبغضة، وسبب لنيل الدعوة بالشر، ولا خير في مال بدون وجود إحسان، كما لاخير في النطق بدون فعال، قال الشاعر :

الجودُ مكرمةٌ، والبخل مبغضةٌ،

لا يستوي البخلُ - عند الله - والجودُ[1]

فيا من تريد المرتبة العالية في الآخرة، والمنزلة الجليلة في الدنيا الزم الصدقة والجود، وأكثر من الإحسان وأعمال البر، وتجنب الشح والبخل، فإنك قادم على ربِّك وحالك كما وصف الشاعر :

---

(١) انظر : روضة العقلاء، لابن حبان : ص (١٩٣) ، الصدقات، للضبيعي: ص (١٢).

وما تـــزودٌ مما كان يَجْمعـُـه ... إلا حَنوطاً غداةَ البيْن مَعْ خِرَقِ
وغيرَ نفحة أعـــوادٍ تُشدُّ بـه ... وقلّ ذلك مـــن زادٍ لمنطَلِـقِ [(١)]

١٨ ـ أنها طريق للظفر بمحبة الله ورحمته ورضاه :

في الصدقة إحسان ورحمة، وتفضل وشفقة؛ ولذا كانت من وسائل نيل محبة ربِّ العالمين، والحصول علىٰ رحمته، والظفر برضوانه؛ لأنه ـ سبحانه ـ يحب المحسنين ويرحم الراحمين، وقد دلت نصوص القرآن والسنة علىٰ ذلك، فمما دلَّ منها علىٰ أن التصدق والإنفاق في مرضات الله من دواعي حبه ـ عز وجل ـ للعبد قوله ـ تعالىٰ ـ: ﴿وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلاَ تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ١٩٥] ، قال السعدي : «وهذا يشمل جميع أنواع الإحسان بالمال» [(٢)].

كما أتت أحاديث عديدة تبين أن الله يحب المتصدقين وذوي البر والإحسان وصانعي المعروف، منها قوله ﷺ : « أحب العباد إلىٰ الله أنفعهم لعياله » [(٣)]، وقوله ﷺ : «أحب الناس إلىٰ الله أنفعهم» [(٤)]،

---

(١) روضة العقلاء، لابن حبان : ص (١٩٧).

(٢) تيسير الكريم الرحمن، للسعدي : ص (٧٢).

(٣) رواه عبد الله بن أحمد في زوائد الزهد عن الحسن مرسلاً كما في كشف الخفاء، للعجلوني: (١/ ٥٤)، رقم: (١٢٨)، وهو حسن لغيره ، انظر : صحيح الجامع للألباني: (١/ ٩٦)، رقم: (١٧٢) .

(٤) قضاء الحوائج، لابن أبي الدنيا: ص (٤٠)، رقم: (٣٦) ، وحسنه الألباني في صحيح الجامع: (١/ ٩٧)، رقم: (١٧٦) .

ومنها : حديث أبي ذر - رضي الله عنه - مرفوعاً : «ثلاثة يحبهم الله وثلاثة يبغضهم الله، أما الذين يحبهم الله : فرجل أتى قوماً فسألهم بالله ولم يسألهم بقرابة بينهم وبينه، فتخلف رجل أعقابهم، فأعطاه سراً لا يعلم بعطيته إلا الله والذي أعطاه . . . »(١).

كما جاءت أحاديث تبين أن الله لا يرحم من عباده إلا الرحماء بخلقه، المشفقين على عباده - وهي صفة المتصدق - ومنها : قوله ﷺ : «الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا أهل الأرض يرحمكم أهل السماء»(٢)، وقوله ﷺ : «من لا يرحم الناس لا يرحمه الله عز وجل»(٣).

ومن النصوص الدالة على أن الصدقة دافعة لغضب الله وسخطه، جالبة لرضوانه قوله ﷺ : «صدقة السر تطفئ غضب الرب»(٤)، وحديث أبي هريرة - رضي الله عنه - الذي تضمن قصة الأبرص والأقرع

---

(١) المستدرك للحاكم : (١/ ٤١٦)، وقال : «صحيح على شرطهما»، صحيح ابن خزيمة : (٤/ ١٠٤)، رقم : (٢٤٥٦)، صحيح ابن حبان : (٨/ ١٣٦)، رقم : (٣٣٤٩) وصححه الأرناؤوط .

(٢) المسند، لأحمد : (١١/ ٣٣)، رقم : (٦٤٩٤)، وقال المحقق : «صحيح لغيره»، وصححه الألباني في صحيح الجامع : (١/ ٦٦١)، رقم : (٣٥٢٢) .

(٣) أخرجه البخاري رقم : (٧٣٧٦) ، الفتح : (١٣/ ٣٧٠)، مسلم : (٢/ ١٨٠٩) رقم : (٢٣١٩) واللفظ له .

(٤) المعجم الصغير، للطبراني : (٢/ ٢٠٥) رقم : (١٠٣٣) ، وصححه الألباني في صحيح الجامع : (٢/ ٧٠٢) رقم : (٣٧٥٩) .

والأعمى، وفيه: قول المَلَك للأعمى لما بذل المال محتسباً الثواب من الله وأمسكه صاحباه ـ الأقرع والأبرص ـ شُحّاً به وبخلاً: «أمسك مالك؛ فإنما ابتليتم، فقد رضي الله عنك وسخط على صاحبيك»(١).

فيا طامعاً في محبة الله ورضوانه، ويا راجياً رحمته وإحسانه.. عليك بالصدقة؛ فإنها نعم الوسيلة لتحقيق غايتك والوصول إلى بغيتك.

١٩ ـ أن فيها انتصاراً للعبد على شيطانه:

حذَّر الله عباده من الشيطان، وأوضح لهم عداوته لهم، وتوعده إياهم بإغوائهم وتزيين الباطل لهم، وعمله ـ بما يستطيع ـ على إضلالهم وزجِّهم في دوامة الشهوات والشبهات؛ لكي يكونوا له طائعين، ولخطواته متبعين، وعن الخير متخاذلين، ورضوان ربهم متباعدين، فقال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [البقرة: ١٦٨]، وقال ـ سبحانه ـ حكاية عن إبليس: ﴿قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٦، ١٧]، وقال ـ عز وجل ـ: ﴿لَعَنَهُ اللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿١١٨﴾ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ﴾ [النساء: ١١٨، ١١٩]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي

(١) مسلم: (٣/٢٢٧٦)، رقم: (٢٩٦٤).

لأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَلأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾.

[الحجر: ٣٩، ٤٠].

وفي باب الصدقة؛ فإن الشياطين تتكالب على العبد، داعية له إلى البخل، حاثة له على الشُّح، ناهية له عن الجود والبذل، كما قال ـ سبحانه ـ: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلاً وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦٨]، فإن هو تصدق فقد غلبهم وانتصر عليهم، يدل لذلك قوله ﷺ: «ما يُخرج رجل شيئاً من الصدقة حتى يفك عنه لَحْيَيْ[1] سبعين شيطاناً»[2]، يقول المناوي ـ معللاً ذلك ـ: «لأن الصدقة على وجهها إنما يقصد بها ابتغاء مرضاة الله، والشياطين بصدد منع الإنسان من نيل هذه الدرجة العظيمة، فلا يزالون يدأبون في صدِّه عن ذلك، والنفس لهم على الإنسان ظهيرة، لأن المال شقيق الروح فإذا بذله في سبيل الله فإنما يكون برغمهم جميعاً، ولهذا كان ذلك أقوى دليلاً على استقامته وصدق نيته ونصوح طويته»[3].

فهل بعد هذه الرتبة من رتبة، والفضل من فضل، فيا من يريد إرضاء

(١) هما عظما الحنك اللذان عليهما الأسنان. انظر: تاج العروس، للزَّبيدي: (٢٠/ ١٤٥).

(٢) المسند، لأحمد: (٥/ ٣٥٠)، مجمع الزوائد: (٣/ ١٠٩)، وقال الهيثمي: «رجاله ثقات»، وصححه الألباني في صحيح الجامع: (٢/ ١٠١٢)، رقم: (٥٨١٤).

(٣) فيض القدير، للمناوي: (٥/ ٥٠٤).

ربِّه، والانتصار على أعدائه، وجعل شياطينه تعيش حسرة وندامة، عليك بالصدقة والإنفاق في طاعة ربك ومرضاته.

٢٠ـ سعة صدر صاحبها وانشراحه:

الصدقة ونفع الخلق والإحسان إليهم من أسباب انشراح الصدر وسعة البال وتحصيل السعادة، ومَردُّ ذلك إلى شعور المتصدق بطاعة الله ـ تعالى ـ وامتثال أمره، والتحرر من عبودية المال وتقديسه، والقيام بمساعدة الآخرين، وإدخال السرور عليهم، والسير في طريق أهل الجود والإحسان، والتعرض لنفحات الربِّ ورحمته وإحسانه.

وعلى الضِّد من ذلك يكون حال البخيل، فإن هو همَّ يوماً بالصدقة ضاق صدره، وانقبضت يده، خوفاً من نقص المال الذي صَيَّر جمعه غايته، يقول ابن القيم: «فإن الكريم المحسن أشرح الناس صدراً، وأطيبهم نفساً، وأنعمهم قلباً، والبخيل الذي ليس فيه إحسان أضيق الناس صدراً، وأنكدهم عيشاً، وأعظمهم همّاً وغمّاً»[1]، ويقول ابن عثيمين: «فالإنسان إذا بذل الشيء، ولا سيما المال يجد في نفسه انشراحاً، وهذا شيء مُجرب، ... لكن لا يستفيد منه إلا الذي يعطي بسخاء وطيب نفس، ويخرج المال من قلبه قبل أن يخرجه من يده، أما

(١) زاد المعاد، لابن القيم: (٢/ ٢٥، ٢٦).

من أخرج المال من يده، لكنه في قرارة قلبه فلن ينتفع بهذا المال »[١] لأنه قد يخرجه خجلاً من الناس أو مجاراة لهم بدون استحضار نية.

وقد ضرب النبي ﷺ لانشراح صدر المتصدق وانفساح قلبه، وضيق صدر البخيل وانحصار قلبه مثلاً[٢]، فقال: «مثل البخيل والمتصدق مثل رجلين عليهما جُنَّتان من حديد قد اضطُرت أيديهما إلىٰ تراقيهما، فكلَّما همَّ المتصدق بصدقته اتسعت عليه حتىٰ تعفي أثره، وكلما هم البخيل بالصدقة انقبضت كلُّ حلقة إلىٰ صاحبتها وتقلَّصت عليه وانضمت يداه إلىٰ ترقوته، فيجتهد أن يوسعها فلا تتسع»[٣]، قال الخطَّابي - في شرحه -: «هذا مثل ضربه رسول الله ﷺ للجواد المنفق، والبخيل الممسك، وشبَّههما برجلين أراد كلٌّ واحد منهما أن يلبس درعاً يستجنُّ بها علىٰ رأسه ليلبسها، والدرع أول ما يلبس إنما يقع علىٰ موضع الصدر والثديين إلىٰ أن يسلك لابسها يديه في كمَّيها، ويرسل ذيلها علىٰ أسفل بدنه فيستمر سافلاً، فجعل ﷺ مثل المنفق مثل من لبس درعاً سابغة فاسترسلت عليه حتىٰ سترت جميع بدنه، وجعل البخيل كرجل كانت يداه مغلولتين إلىٰ عنقه، ناتئتين دون صدره، فإذا أراد لبس الدرع حالت

---

(١) انظر: الشرح الممتع، لابن عثيمين: (٦/ ١٠، ١١).

(٢) انظر: زاد المعاد، لابن القيم: (٢/ ٢٦).

(٣) أخرجه البخاري رقم: (٢٩١٧)، الفتح: (٦/ ١١٦)، واللفظ له، مسلم: (١/ ٧٠٨)، رقم: (١٠٢١).

يداه بينهما وبين أن تمر سفلاً على البدن، واجتمعت في عنقه فلزمت ترقوته، فكانت ثقلاً ووبالاً عليه من غير وقاية و تحصين لبدنه، وحقيقة المعنى: أن الجواد إذا هَمَّ بالنفقة اتسع لذلك صدره، وطاوعته يداه فامتدتا بالعطاء والبذل، وأن البخيل يضيق صدره، وتنقبض يده عن الإنفاق في المعروف والصدقة» (١).

والأمر - كما هو متضح - مرتبط بالممارسة، فيا من تريد شرح الصدر وسعة البال، و الولوج من بوابة السعادة جَرِّبْ تَجِدْ.

٢١ - ثبوت أجرها وإن وقعت في غير يد أهلها:

لا تُقبل العبادات إلا بأدائها على الوجه المشروع، وفي الصدقة يُشرع للعبد التحري، والحرص على وضعها في السبيل الذي هو أعظم نفعاً وأكثر قربة وأزيد أجراً، فإن ضعف تحريه أو اجتهد فأخطأ فوضع الصدقة في غير يد مستحقها، وصنع المعروف إلى من ليس من أهله - وهو لا يعلم - قُبلت صدقته، وثبت أجره، ورضي الله عن برِّه وإحسانه، يدل لذلك عموم قوله - تعالى -: ﴿وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلأَنفُسِكُمْ وَمَا تُنفِقُونَ إِلاَّ ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لا تُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٢]، قال ابن كثير في تفسيرها: «المتصدق إذا تصدق ابتغاء وجه الله فقد وقع

---

(١) أعلام الحديث، للخطابي: (١/ ٧٦٩، ٧٧٠)، وانظر: فتح الباري، لابن حجر: (٣/ ٣٥٩، ٣٦٠)، فيض القدير، للمناوي: (٥/ ٥٠٦).

أجره على الله، وهو مُثاب على قصده»(١)، كما يدل لذلك بصورة أجلى قوله ﷺ: «قال رجل: لأتصدقنَّ الليلة بصدقة. فخرج بصدقته فوضعها في يد زانية. فأصبحوا يتحدثون: تُصدِّقَ الليلة على زانية. قال: اللهمَّ لك الحمد؛ على زانية!!. لأتصدقنَّ بصدقة. فخرج بصدقته فوضعها في يد غني. فأصبحوا يتحدثون: تُصدِّقَ على غني، قال: اللهمَّ لك الحمد؛ على غني!! لأتصدقن بصدقة، فخرج بصدقته فوضعها في يد سارق، فأصبحوا يتحدثون: تصدق على سارق، فقال: اللهمَّ لك الحمد؛ على زانية وعلى غني وعلى سارق!!، فأُتي، فقيل له: أما صدقتك فقد قُبلت؛ أما الزانية فلعلها تستعف عن زناها. ولعل الغني يعتبر فينفق مما أعطاه الله. ولعلَّ السارق يستعف بها عن سرقته»(٢).

وهذه ـ ولا شك ـ مرتبة عالية للصدقة ومنزلة سامقة لأعمال البر وصنائع الخير لا تشاركها فيها جُلُّ العبادات.

٢٢ ـ نفعها المتعدي:

لايقتصر نفع الصدقة على صاحبها بل يتجاوزه إلى غيره من الأفراد، ويتخطى الأفراد إلى المجتمعات، في كثير من جوانب الحياة، ولعل من أبرز منافعها المتعدية ما يأتي:

---

(١) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير: (١/ ٧٠٤).

(٢) أخرجه البخاري رقم: (١٤٢١)، الفتح: (٣/ ٣٤٠)، مسلم: (١/ ٧٠٩)، رقم: (١٠٢٢).

أ-إسهامها في علاج مشكلة الفقر؛ إذ تدفع حاجة المعوزين فتسد جوعهم، وتستر عوراتهم، وتقضي ديونهم وحاجاتهم، وتفرج كربهم، وتنفس مضايقهم، وتحسن معايشهم، وتدخل السرور على قلوبهم. . . إلى آخر ذلك من الأعمال التي حث الشارع عليها، ورغبت النصوص والآثار فيها، ومن ذلك قوله ﷺ : «أحب الناس إلى الله أنفعهم، وأحب الأعمال إلى الله-عز وجل- سرور تدخله على مسلم أو تكشف عنه كربة أو تقضي عنه ديناً أو تطرد عنه جوعاً، ولأن أمشي مع أخي المسلم في حاجة أحب إلي من أن أعتكف في المسجد شهراً»[1]، وقوله ﷺ : «يا عائشة، استتري من النار ولو بشق تمرة، فإنها تسد من الجائع مسدها من الشبعان»[2]، وقول علي-رضي الله عنه-: «من آتاه الله منكم مالاً فليصل به القرابة، وليحسن فيه الضيافة، وليفك به العاني الأسير وابن السبيل والمساكين والفقراء والمجاهدين، وليصبر فيه على النائبة، فإن بهذه الخصال ينال كرم الدنيا وشرف الآخرة»[3].

ب-ما فيها من إشاعة التكافل الاجتماعي، وتعميق الأخوة، ونشر

(١) قضاء الحوائج، لابن أبي الدنيا : ص (٤٠) رقم : (٣٦)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع : (١/ ٩٧)، رقم : (١٧٦).

(٢) المسند، لأحمد : (٦/ ٧٩)، وحسنه المنذري والألباني. انظر: صحيح الترغيب والترهيب : (١/ ٣٦٢).

(٣) روضة العقلاء لابن حبان : (١٩٤).

المودة، وبث الرحمة بين أفراد المجتمع المسلم بحيث تجعله كأسرة واحدة متراصة يرحم فيه القوي الضعيف، ويحسن فيه القادر إلىٰ العاجز، والغني إلىٰ الفقير فتنكسر بذلك ثورة الحسد، وتخف حدة الحقد التي قد توجد لدىٰ بعض المعوزين، لأنهم يرون مساعدة إخوانهم الأغنياء لهم، ويشعرون بوقوفهم إلىٰ جانبهم في أوقات الأزمات والمحن فيألفونهم ويحبونهم(١).

ج ـ من دوافع الجريمة الرئيسة شدة الفقر لأنه يحمل المرء تحت ضغط الحاجة علىٰ فعل المعايب وارتكاب المحظور، بل قد يؤدي ببعضهم إلىٰ التسخط والاعتراض علىٰ الله ـ تعالىٰ ـ وعدم الرضاء بقضائه، ولذا صح من جهة المعنىٰ حديث: «كاد الفقر أن يكون كفراً» (٢).

والصدقة وأعمال البر تقلل من أثر هذا الدافع جداً، فتسهم بذلك في إصلاح المجتمع ووقاية أفراده من التورط في اقتراف الجريمة ـ وبخاصة المالي منها ـ لأن الفقير حين يأتيه ما يسد حاجته، ويفك كربته يرىٰ أن الغني الذي أعطاه من ماله محسناً إليه فلا يعتدي علىٰ شيء من ممتلكاته، فينتشر بذلك الأمن ويعم الاطمئنان.

---

(١) انظر: الشرح الممتع، لابن عثيمين: (٦/ ١١، ١٢)، الصدقات، للضبيعي: ص(١٤).

(٢) جزء من حديث ضعيف رواه البيهقي في الشعب: (٦/ ٢٦٧) رقم: (٦٦١٢)، انظر: ضعيف الجامع، للألباني: (٦٠٥) رقم: (٤١٤٨).

وفي المقابل؛ فإن إمساك المال والشح به بوابة المهالك كما جاء في الحديث: « واتقوا الشح؛ فإن الشح أهلك من كان قبلكم حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم»[١]، وفي رواية : «أمرهم بالظلم فظلموا، وأمرهم بالفجور ففجروا، وأمرهم بالقطيعة فقطعوا»[٢] قال المناوي ـ معللاً ذلك ـ : «وإنما كان الشح سبب ما ذكر لأن في بذل المال والمواساة تحابباً وتواصلاً، وفي الإمساك تهاجر وتقاطع، وذلك يجر إلى تشاجر وتغادر؛ من سفك الدماء واستباحة المحارم»[٣].

ولا يقتصر أثر الصدقة على ذلك إذ أنها تصلح أخلاق الفرد، وتمنعه من الوقوع فيما لا يحمد؛ لأن العبد متى اشتد فقره، وكثر دينه: حدث فكذب ووعد فأخلف[٤]، وحين تأتيه الصدقة تكون حجاباً بينه وبين الوقوع في ذلك.

د ـ ما فيها من نصر الحق وتقويته؛ إذ لها تأثير ظاهر في نشر الدين وقيام الكثير من المناشط الدعوية والعلمية، والأعمال التي يقارع بها الشر، ويذاد بها عن حياض الدين. والواقع خير شاهد؛ إذ يجد المتأمل

---

(١) مسلم: (٣/١٩٩٦)، رقم: (٢٥٧٨).

(٢) تفسير النسائي: (٢/٤٠٩) رقم: (٦٠٣)، وصححه المحقق.

(٣) فيض القدير، للمناوي: (١/ ١٣٥).

(٤) انظر: البخاري رقم: (٢٣٢٧)، الفتح: (٥/ ٧٤).

أن جُلَّ العمل الدعوي والخيري في أرجاء الأرض يقوم على الصدقة وصنائع المعروف؛ بحيث لو توقفت لكان ذلك سبباً في حرمان الأمة؛ بل والبشرية من كثير من صنوف الخير.

وبهذا تتجلى أهمية الدور الذي يقوم به المتصدقون في الدعوة إلى الله، وإشاعة الخير ودحض الشر، بل إن لأصحاب الأموال ـ كما يظهر ـ أجر الأعمال التي تقوم على صدقاتهم من غير أن ينقص ذلك من أجر مباشريها والقائمين عليها شيئاً.

٢٣ ـ ما فيها من العمل ببعض أسماء الله وصفاته:

لله ـ تعالى ـ أسماء حسنى، وصفات عليا، كلها كمال وجمال وجلال، وقد أمر ـ سبحانه ـ عباده بتعبُّده بها، والعمل بموجبها والسير على مقتضاها، وجعل أحب عباده إليه من اتصف بصفاته التي يحب اتصافهم بها، وأبغضهم إليه من اتصف بصفاته التي لا تليق بأحد سواه ـ سبحانه ـ[1].

ولابن بطال في التعبد بأسماء الله وصفاته والعمل بها إيضاح جميل لخصه ابن حجر في الفتح فقال: «طريق العمل بها أن الذي يسوغ الاقتداء به فيها كالرحيم والكريم فإن الله يحب أن يرى حلاها على عبده، فليمرِّن

(١) انظر طريق الهجرتين، لابن القيم: (٢١٤، ٢١٥)، وعدة الصابرين، له: ص (٢٥٥).

العبد نفسه على أن يصح له الاتصاف بها، وما كان يختص بالله - تعالى - كالجبار والعظيم؛ فيجب على العبد الإقرار بها والخضوع لها، وعدم التحلي بصفة منها. وما كان فيها معنى الوعد نقف منه عند الطمع والرغبة. وما كان فيه معنى الوعيد نقف منه عند الخشية والرهبة»[١].

وفي الصدقة والإنفاق في مراضي الله كرم وجود وإحسان ورحمة وبر ورأفة ومودة وشكر ولطف ففيها عمل بمقتضى أسماء الله الكريم والجواد والمحسن والرحمن والرحيم والبر والرؤوف والودود والشاكر والشكور واللطيف، واتصاف بالصفات التي تضمنتها.

وقد جاء في بعض النصوص إشارات إلى هذا الأمر، ومنها قوله - تعالى -: ﴿وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ [القصص: ٧٧]، وقوله - عز وجل -: ﴿وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [المائدة: ٩٣]، وقوله ﷺ: «إن الله كريم يحب الكرم، ويحب مكارم الأخلاق، ويكره سفاسفها»[٢].

وفي لفظ: «إن الله - تعالى - كريم يحب الكرماء، جواد يحب الجود، يحب معالي الأخلاق ويكره سفاسفها»[٣]، وقوله ﷺ: «إن الله

---

(١) فتح الباري، لابن حجر: (١١/ ٢٢٩)، وانظر: شرح البخاري، لابن بطال: (١٠/ ٤٢٠)، وبحثاً قيماً للدكتور: عبد اللطيف في مجلة البيان: عدد (٩٩): ص: (٨٨، ٩٩).

(٢) المستدرك، للحاكم: (١/ ٤٨)، وقال: «صحيح الإسناد ولم يخرجاه»، السنن الكبرى، للبيهقي: (١٠/ ١٩١)، وصححه الألباني في صحيح الجامع: (١/ ٣٧٠)، رقم: (١٨٠١).

(٣) تاريخ دمشق، لابن عساكر: (١٤/ ٢٨٩)، وصححه الألباني في صحيح الجامع: (١/ ٣٧٠)، رقم: (١٨٠٠).

محسن فأحسنوا»[(١)].

فهل بعد هذا الفضل من فضل، فإني لأحسب ألا رتبة للصدقة تسمو على هذه الرتبة، بل ولا تحاذيها.

٢٤- ما فيها من الاهتداء بالنبي ﷺ والتأسي بكرماء أمته:

كان النبي ﷺ أجود الناس وأسخاهم، وقد كثرت شهادات أصحابه، وأعرف الناس به له بذلك، ومن تلك الشهادات: قول زوجه خديجة - رضي الله عنها - له حين نزل عليه الوحي: «كلا والله، ما يخزيك الله أبداً، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الدهر»[(٢)]، وقول خادمه أنس - رضي الله عنه -: «كان رسول الله ﷺ أحسن الناس، وأشجع الناس، وكان أجود الناس»[(٣)]، وقول ابن عمه عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما -: «كان رسول الله ﷺ أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل، وكان جبريل يلقاه في كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن، فإن رسول الله ﷺ حين يلقاه جبريل أجود بالخير من الريح المرسلة»[(٤)]،

---

(١) الكامل، لابن عدي: (٦/ ٤٢٥)، وصححه الألباني في صحيح الجامع: (١/ ٣٧٤) رقم: (١٨٢٣).

(٢) أخرجه البخاري رقم: (٣)، الفتح: (١/ ٣٠).

(٣) أخرجه البخاري رقم: (٢٨٢٠)، الفتح: (٦/ ٤٢).

(٤) أخرجه البخاري رقم: (٣٢٢٠)، الفتح: (٦/ ٣٥٢).

وقول جابر ـ رضي الله عنه ـ: «ما سئل رسول الله ﷺ شيئاً قط، فقال: لا» (١)، وقول أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ: «ما احتذىٰ النعال ولا انتعل، ولا ركب المطايا، ولا لبس الكور (٢) مَن رجلٌ بعد رسول الله ﷺ أفضل من جعفر بن أبي طالب؟! يعني: في الجود والكرم» (٣).

وقد دلت أقواله وأفعاله ﷺ علىٰ صحة هذه الشهادة وصدقها، فمن أقواله: قوله ﷺ لعمر ـ رضي الله عنه ـ حين دخل عليه ـ وهو علىٰ حصير قد أثر في جنبه فقال له: يا نبي الله، لو اتخذت فراشاً أوثر من هذا ـ: «مالي وللدنيا؟ ما مثلي ومثل الدنيا إلا كراكب سار في يوم صائف، فاستظل تحت شجرة ساعة من نهار ثم راح وتركها»(٤)، وقوله ﷺ: «والذي نفس محمد بيده، ما يسرني أن أُحداً لآل محمد ذهباً أنفقه في سبيل الله، أموت يوم أموت وعندي منه ديناران، إلا أن أعدهما لدْين»، قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: «فمات وما ترك ديناراً ولا درهماً ولا عبداً ولا وليدة، وترك درعه رهناً عند يهودي بثلاثين صاعاً من شعير»(٥).

---

(١) أخرجه مسلم: (٣/ ١٨٠٥) رقم: (٢٣١١).

(٢) الكور ـ بالضم ـ: رحل البعير، ومعنىٰ لبس الكور: فرشه تحته، يدل له رواية الترمذي: (٥/ ٦٥٤)، رقم: (٣٧٦٤) (ولا ركب الكور)، وانظر: تاج العروس، للزبيدي: (٧/ ٤٦٠)، وتعليقاً قيماً للأرناؤوط في حاشية المسند: (١٥/ ٢٠٦).

(٣) المسند، لأحمد: (١٥/ ٢٠٦)، رقم: (٩٣٥٣)، وقال المحقق: «إسناده صحيح علىٰ شرط البخاري».

(٤) المسند، لأحمد: (٤/ ٤٧٣)، رقم: (٢٧٤٤)، وقال المحقق: «إسناده صحيح».

(٥) المسند، لأحمد: (٤/ ٤٧٣)، رقم: (٢٧٤٣)، وقال المحقق: «إسناده صحيح».

ومن أفعاله: «أن رجلاً سأله غنماً بين جبلين، فأعطاه إياه، فأتى قومه، فقال: أي قوم، أسلموا، فوالله إن كان محمداً ليعطي عطاءً ما يخاف الفقر»[١]، وأعطى صفوان بن أمية في حنين مائة من الإبل ثم مائة ثم مائة[٢]، وحين رجوعه من حنين اجتمع الناس حوله يسألونه حتى اضطروه إلى سمرة فخطفت رداءه، فوقف النبي ﷺ فقال: «أعطوني ردائي، لو كان لي عدد هذه العضاة[٣] نعماً لقسمته بينكم ثم لا تجدوني بخيلاً ولا كذوباً ولا جباناً»[٤].

هذا في الوقت نفسه الذي كان يدعو فيه ربه قائلاً: «اللهم اجعل رزق آل محمد قوتاً[٥]»[٦]، والذي كان فيه فراشه من أدم وحشوه من ليف[٧]، وكان يبيت الليالي المتتابعة طاوياً وأهله لا يجدون عشاءً، وفي الوقت الذي كان عامة خبزهم خبز الشعير[٨]، وكان يمر عليه ثلاثة أهلة

(١) مسلم: (٢/ ١٨٠٦) رقم: (٢٣١٢).

(٢) مسلم: (٢/ ١٨٠٦) رقم: (٢٣١٣).

(٣) شجر ذو شوك، انظر: فتح الباري، لابن حجر: (٦/ ٤٢، ٤٣).

(٤) أخرجه البخاري رقم: (٢٨٢١)، الفتح: (٦/ ٤٢).

(٥) أي كفافاً بقدر الحاجة، لأن القوت ـ كما يقول ابن حجر ـ: ما يقوت البدن ويكف عن الحاجة، وفي هذا سلامة من آفات الغنى والفقر. انظر: الفتح: (١١/ ٢٩٩).

(٦) مسلم: (١/ ٧٣٠)، رقم: (١٠٥٥).

(٧) انظر: البخاري رقم: (٦٤٥٦)، الفتح: (١١/ ٢٨٧).

(٨) جامع الترمذي: (٤/ ٥٨٠)، رقم: (٢٣٦٠)، وقال: حسن صحيح، وحسنه الألباني في صحيح الجامع: (٢/ ٨٨١) رقم: (٤٨٩٥).

في شهرين وما أوقدت في أبياته نار، وإنما طعامهم الأسودان : التمر والماء (١)، ولم يشبع هو وآله منذ قدم المدينة من طعام بر ثلاث ليال تباعاً، ومن خبز شعير يومين متتابعين حتى مضى لسبيله (٢).

وقد اقتفى أصحابه أثره ﷺ في الجود والكرم وساروا على هديه، فهاهم الخلفاء الأربعة - مثلاً - يعيشون كفافاً متصدقين بجل أموالهم وخارجين من الدنيا بأقل القليل، فهذا الصديق - رضي الله عنه - خليفة المسلمين وأحد أعيان تجارهم - كما تقول عائشة رضي الله عنها - : «توفي وما ترك ديناراً ولا درهماً ضرب لله سكّته» (٣).

وهذا الفاروق - رضي الله عنه - يلبس وهو خليفة - إزاراً مرقوعاً باثنتي عشرة رقعة، وأبطأ يوماً على الناس في صلاة الجمعة، وكان سبب ذلك أنه غسل ثوبه ولم يكن له ثوب غيره يخرج به (٤).

وهذا عثمان - رضي الله عنه - خليفة المسلمين وأحد كبار أغنيائهم كان يطعم الناس الطعام الجيد، ويدخل إلى بيته فيأكل الخل والزيت (٥).

---

(١) البخاري رقم: (٦٤٥٩)، الفتح: (١١/ ٢٨٧).

(٢) انظر: البخاري، رقم: (٦٤٥٤)، الفتح: (١١/ ٢٨٧)، مسلم: (٣/ ٢٢٨١، ٢٢٨٢)، رقم: (٢٩٧٠).

(٣) الزهد، لأحمد: (١٣٦). «ضرب لله سكته» السكة: صناعة النقود.

(٤) الزهد، لأحمد: (١٥٤).

(٥) الزهد، لأحمد: (١٦٠).

وهذا علي ـ رضي الله عنه ـ توفي وما ترك صفراء ولا بيضاء إلا سبعمائة درهم من عطائه [١].

وهكذا كان حال كثير من أتباعه ﷺ والسائرين على سنته، ممن عرفوا قدر الدنيا فزهدوا فيها، واتخذوا الآخرة نصب أعينهم.

وباذل الصدقة، والمنفق في مرضاة ربه ونصرة دينه، سالك سبيل القوم، مقتف أثرهم، سائر على خطاهم، فما أعلى منزلته، وما أجل مكانته.

هذا وللصدقة فضائل أخرى كثيرة، وقد جاءت فيها نصوص وآثار عديدة، ومن طلب العلم للعمل وأراد به وجه الله؛ فالقليل يكفيه بإذن الله [٢].

---

(١) الزهد، لأحمد: (١٦٦).

(٢) انظر: التمهيد، لابن عبد البر: (٢٣/ ١٧٥).

الفصل الثاني

رسائل إلى المتصدقين

رسائل إلى المتصدقين

قبل أن أختم هذه الرسالة المختصرة في فضل الصدقة أحب أن أبعث بعدة رسائل إلى المتصدقين، والوسطاء بين المحسنين، وآخذي الصدقة.. أذكرهم فيها بقضايا، وأنبههم على أمور لا بد من تذكرها والانتباه إليها:

الرسالة الأولى: الإخلاص.. الإخلاص:

على المتصدق أن يخلص نيته، وأن يحذر من الرياء والسمعة لأن ذلك شرك والله غني عن ذلك، كما قال - تبارك وتعالى - في الحديث القدسي: «أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه» (١)، ولأن ذلك من مبطلات الصدقة ومن محبطات ثوابها كما قال - سبحانه -: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالأَذَىٰ كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ﴾ [البقرة: ٢٦٤]، ومعناه: «لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى، كما تبطل صدقة من راءى بها الناس، فأظهر لهم أنه يريد وجه الله، وإنما قصده مدحة الناس له، أو شهرته بالصفات الجميلة، ليشكر بين الناس، أو يقال: إنه كريم. ونحو ذلك من المقاصد الدنيوية» (٢).

---

(١) مسلم: (٢/ ٢٢٨٩)، رقم: (٢٩٨٥)

(٢) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير: (١/ ٦٩٤).

ولا يقتصر التصدق رياءً وسمعة على إبطال الصدقة وإذهاب أجرها بل الأمر أشد وأنكى؛ إذ ذاك من مسببات العذاب، ومن مؤهلات العبد ليكون من أول من تسعر بهم النار يوم القيامة إن لم يتداركه الله ـ سبحانه ـ بعفو أو توبة، يدل لذلك حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ مرفوعاً: «إن أول الناس يقضى عليه يوم القيامة ـ وذكر ثلاثة، منهم ـ: رجل وسَّع الله عليه وأعطاه من أصناف المال كله، فأتي به فعرفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها، قال: ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيه إلا أنفقت فيها لك، قال: كذبت، ولكنك فعلت ليقال هو جواد، فقد قيل. ثم أمر به فسحب على وجه ثم ألقي في النار[1]. قال أبو هريرة: ثم ضرب رسول الله ﷺ على ركبتي، فقال: يا أبا هريرة، أولئك الثلاثة أول خلق الله تسعر بهم النار يوم القيامة»[2].

فحاسب ـ يا عبد الله ـ نفسك، وجدد نيتك، والزم الإخلاص، وإياك والسمعة والرياء فإن: «من سمع سمع الله به، ومن يرائي يرائي الله به»[3].

الرسالة الثانية: تجنب المن والأذى:

على صاحب الصدقة أن يتجنب المن والأذى في الصدقة؛ لأن

---

(١) أخرجه مسلم: (٢/ ١٥١٣)، رقم: (١٩٠٥).

(٢) جامع الترمذي: (٤/ ٥٩١)، رقم: (٢٣٨٢).

(٣) أخرجه البخاري رقم: (٦٤٩٩)، الفتح: (١١/ ٣٤٣).

الإسلام ما أراد بالإنفاق مجرد سد خلة، وملء بطن، وتلافي حاجة، وإنما «أراده تهذيباً وتزكية وتطهيراً لنفس المعطي، واستجاشة لمشاعره الإنسانية، وارتباطه بأخيه الفقير في الله وفي الإنسانية، وتذكيراً له بنعمة الله عليه وعهده معه في هذه النعمة أن يأكل منها في غير إسراف ولا مخيلة، وأن ينفق منها في سبيل الله في غير منع ولا من. كما أراده ترضية وتندية لنفس الآخذ، وتوثيقاً لصلته بأخيه في الله وفي الإنسانية، وسداً لخلة الجماعة كلها لتقوم على أساس من التكافل والتعاون يذكرها بوحدة قوامها ووحدة اتجاهها، ووحدة تكاليفها.

والمن يذهب بهذا كله، ويحيل الإنفاق سماً وناراً، فهو أذى وإن لم يصاحبه أذى آخر باليد أو اللسان، هو أذى في ذاته يمحق الإنفاق، ويمزق المجتمع، ويثير السخائم والأحقاد»[1]، ولذا جاء النهي عنه، والتحذير منه، فقال ـ عز وجل ـ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالأَذَىٰ﴾ [البقرة: ٢٦٤]، قال ابن كثير في تفسيره: «فأخبر أن الصدقة تبطل بما يتبعها من المن والأذى، فما يفي ثواب الصدقة بخطيئة المن والأذى»[2]، ولسيّد تعليل آخر في وجه إبطال المن للصدقة يقول فيه: «المن عنصر كريه لئيم، وشعور خسيس واط، فالنفس البشرية لاتمن بما

(١) في ظلال القرآن، لسيد قطب: (١/ ٣٠٧).

(٢) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير: (١/ ٦٩٤).

أعطت إلا رغبة في الاستعلاء الكاذب أو رغبة في إذلال الآخذ، أو رغبة في لفت أنظار الناس. فالتوجه إذن للناس لا لله بالعطاء، وكلها مشاعر لا تجيش في قلب طيب، ولا تخطر كذلك في قلب مؤمن.. فالمن - من ثم - يحيل الصدقة أذىً للواهب وللآخذ سواء. أذىً للواهب بما يثير في نفسه من كبر وخيلاء، ورغبة في رؤية أخيه ذليلاً له، كسيراً لديه، وبما يملأ قلبه بالنفاق والرياء والبعد من الله... وأذىً للآخذ بما يثير في نفسه من انكسار وانهزام، ومن رد فعل بالحقد والانتقام» [1].

ولهذه الخطورة جاءت النصوص محذرة للعبد من أن يكون مناناً ببره وإحسانه، ومن ذلك حديث أبي ذر - رضي الله عنه - مرفوعاً قال: «ثلاثة لايكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم، قال: فقرأها رسول الله ﷺ ثلاث مرار. قال أبو ذر: خابوا وخسروا، من هم يا رسول الله؟ قال: المسبل والمنان والمنفق سلعته بالحلف الكاذب» وفي لفظ: «ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة: المنان الذي لا يعطي شيئاً إلا منة» [2]، وقوله ﷺ: «وثلاثة لا يدخلون الجنة: العاق لوالديه، والمدمن على خمر، والمنان بما أعطى» [3].

---

(١) في ظلال القرآن، لسيد قطب: (١/ ٣٠٦، ٣٠٧).

(٢) مسلم: (١/ ١٠٢)، رقم: (١٠٦).

(٣) سنن النسائي: (٥/ ٨٠، ٨١)، وقال الألباني في صحيح النسائي: (٢/ ٥٤١) رقم: (٢٤٠٢) «حسن صحيح».

فإذا كنت تريد ثواب صدقتك، وأجر إحسانك، ودخول الجنة والسلامة من العذاب، وأن يكلمك ربك يوم القيامة ويزكيك وينظر إليك نظر رضىٰ، فلا تمتن بصدقتك، ولا تتبعها بأذىً من قول أو فعل.

الرسالة الثالثة: عليك بصدقة السر:

إخفاء الصدقة وإسرارها أرفع لدرجة العبد، وأفضل له عند ربه من إبدائها، لأن ذلك أدل علىٰ قوة إخلاصه وأبعد له عن التظاهر والرياء والسمعة، كما أنه أستر للمتصدق عليه وأحب إلىٰ نفسه، وقد جاءت النصوص دالة علىٰ ذلك، ومنها قوله ـ تعالىٰ ـ: ﴿إِن تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٧١]، وقوله ﷺ: «سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله ـ وذكر منهم ـ: ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتىٰ لاتعلم شماله ما تنفق يمينه» [1]، وقوله ﷺ: «صدقة السر تطفئ غضب الرب» [2]، وقوله ﷺ: «ثلاثة يحبهم الله وثلاثة يبغضهم الله فأما الذين يحبهم فرجل أتىٰ قوماً فسألهم بالله ولم يسألهم بقرابة بينهم وبينه

---

(١) أخرجه البخاري رقم: (١٤٢٣)، الفتح: (٣/ ٣٤٤).

(٢) المعجم الصغير، للطبراني: (٢/ ٢٠٥) رقم: (١٠٣٣)، وصححه الألباني في صحيح الجامع: (٢/ ٧٠٢) رقم: (٣٧٥٩).

فمنعوه فتخلف رجل بأعقابهم فأعطاه سراً لا يعلم بعطيته إلا الله والذي أعطاه»[١].

هذا في الأصل، فإن ترتب على الإظهار مصلحة راجحة من اقتداء الناس بالمتصدق وتأسيهم به، وتنشيط ذلك لنفوسهم إلى أعمال الخير فيكون الإبداء أفضل من هذه الحيثية[٢].

الرسالة الرابعة: تصدق وأنت صحيح شحيح:

حبب المال إلى العبد، وجعل أحب ما يكون إليه، وهو في حال الصحة مؤملاً البقاء، طامعاً في الغنى، خائفاً من تقلبات الدهر وصروفه، فمتى جاهد نفسه وتغلب عليها، فسمحت بإخراج الصدقة والإنفاق في مراضي الله ـ تعالى ـ كان ذلك رافعاً للشح، ومعتقاً من ربقة الحرص والضعف والأثرة[٣]، ودليلاً على صحة النية، وصدق القصد، وقوة الرغبة في القربة ونيل الأجر، وهذا بخلاف من تيقن الموت، ويئس من الحياة، وجزم بمفارقته لماله ومصيره على كل حال إلى غيره، فلا يشق عليه التصدق وقتها، لذا كانت صدقته مفضولة بالنسبة إلى التصدق في

---

(١) المستدرك، للحاكم: (١/ ٤١٦)، وقال: «صحيح على شرطهما»، صحيح ابن خزيمة: (٤/ ١٠٤) رقم: (٢٤٥٦)، صحيح ابن حبان: (٨/ ١٣٦) رقم: (٣٣٤٩)، وصححه الأرناؤوط.

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير: (١/ ٧٠١)، تيسير الكريم الرحمن، للسعدي: ص (٩٦).

(٣) انظر: في ظلال القرآن، لسيد قطب: (١/ ١٥٩).

حال رجاء الحياة وتأمل الغنىٰ وخشية الفقر(١).

وقد جاءت النصوص حاثة علىٰ الإنفاق في حال الصحة وحب المال والحرص عليه، ومن ذلك قوله ـ تعالىٰ ـ: ﴿وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ﴾ [البقرة: ١٧٧]، ومعناه: أخرج المال وأعطاه وهو ضنين به، شحيح عليه، راغب فيه (٢)، قال ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ: «﴿وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ﴾ أي: يؤتيه وهو صحيح شحيح، يأمل الغنىٰ ويخشىٰ الفقر» (٣).

وقوله ـ تعالىٰ ـ: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۝٨ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلا شُكُورًا﴾ [الإنسان: ٨-٩] قال السعدي في تفسيره: «أي: وهم في حال يحبون فيها المال والطعام؛ ولكنهم قدموا محبة الله علىٰ محبة نفوسهم» (٤).

وقوله ﷺ لمن أتاه يسأله: أي الصدقة أعظم أجراً؟ فقال: «أن تصدَّق وأنت صحيح شحيح، تخشىٰ الفقر وتأمل الغنىٰ، ولا تمهل حتىٰ إذا

---

(١) انظر: شرح مسلم، للنووي: (٧/ ١٢٣)، فتح الباري، لابن حجر: (٥/ ٢٧٤)، فيض القدير، للمناوي: (٣/ ٥٢٥).

(٢) انظر: محاسن التأويل، للقاسمي: (٣/ ٤٨).

(٣) جامع البيان، للطبري: (٣/ ٣٤٠) رقم: (٢٥٢١).

(٤) تيسير الكريم الرحمن، للسعدي: (٨٣٤)، وانظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير: (٨/ ٢٨٨)، الجامع لحكام القرآن، للقرطبي: (١٩/ ١٢٥).

بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا، ولفلان كذا، وقد كان لفلان»[1]، وقوله ﷺ: «مثل الذي يتصدق عند موته مثل الذي يهدي بعدما يشبع»[2].

فبادر يا عبد الله، إلى الصدقة مغتنماً صحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وحياتك قبل موتك، وأجب نداء الله - تعالى - الذي خاطبك فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ﴾ [البقرة: ٢٥٤]، ومن قبل أن يأتيك يوم تتحسر فيه على عدم الصدقة والإحسان إلى الآخرين كما قال - عز وجل -: ﴿وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾ [المنافقون: ١٠].

الرسالة الخامسة: جاهد نفسك وتعود العطاء:

الصدقة والبذل شاقان على النفس؛ لما جبلت عليه من حب المال والتعلق بملذات الحياة ومتعها، والسبيل لمدافعة شحها و التغلب عليها يكمن بمراقبتها، واليقظة الدائمة لكبحها والسيطرة عليها، وقيام العبد بالتعلق بما عند الله - تعالى - والتطلع إلى آفاق عليا مما هو خير وأزكى،

---

(١) أخرجه البخاري رقم: (١٤١٩)، الفتح: (٣/ ٣٣٤)، مسلم: (١/ ٧١٦) رقم: (١٠٣٢).

(٢) جامع الترمذي: (٤/ ٤٣٥)، رقم: (٢١٢٣) وقال: «حسن صحيح»، المستدرك، للحاكم: (٢/ ٢١٣)، صحيح ابن حبان: (٨/ ١٢٦) رقم: (٣٣٣٦) واللفظ له، وحسنه الحافظ في الفتح: (٥/ ٤٤٠).

كما قال ـ تعالى ـ: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ ﴿١٤﴾ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ [آل عمران: ١٤، ١٥] داعياً ـ عز وجل ـ إلى أن يكون العبد مالكاً لدوافعه ورغباته، متصرفاً فيها، لا أن تكون دوافعه ورغباته مالكة له، متصرفة فيه، وإلى تقوية العبد لروح التسامي لديه والتطلع لما هو أعلى، ومن ثم يعرض ـ سبحانه ـ إلى جوار هذه الرغبات والدوافع ألواناً من لذائذ الحس والنفس في الدار الآخرة؛ ينالها من يضبط نفسه في هذه الحياة عن الاستغراق في لذائذها المحببة ويحتفظ بقيمته وإنسانيته الرفيعة[1].

كما يكمن بتدريب النفس على البذل وتعويدها على السخاء؛ إذ الكرم إنما ينال بالتكرم والجود بالعطاء فمن لم يرب نفسه على البذل، ويستسهل السخاء لم يهن الجود عليه، ولن يستطيع التصدق بيسر وسهولة.

---

(١) انظر: في ظلال القرآن، لسيد قطب: (١/ ٣٧٣).

الرسالة السادسة : لا تتصدق وأنت كاره :

حين يخرج العبد الصالح صدقته يكن فرحاً راضياً، منشرح الصدر راضي البال؛ لأنه يخرجها بدافع الشكر لله على نعمه، ونيل مرضاته، وتحصيل محبته وإحسانه، والشعور بكونها ذخراً له يجدها في الدار الآخرة وهو أحوج ما يكون إليها إذا وقف بين يدي ربه، وحين تغيب هذه المعاني يضعف باعث الإخراج ويعظم دافع الإمساك فيكره التصدق والإنفاق في مراضي الله، ويعد ذلك مغرماً لا مغنماً لضعف رجائه لثواب ربه - سبحانه - وقلة طمعه في نيل إحسانه، وتعلقه بالحياة الدنيا وركونه إليها.

والنية هي عمدة العمل ومقياسه الصحيح [١]، ولذا أخبر - عز وجل - بأن من أسباب عدم قبول البذل من المنافقين إخراجهم لأموالهم وهم كارهون كما قال - تعالى -: **﴿ وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلاَّ أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَلا يَأْتُونَ الصَّلاةَ إِلاَّ وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلا يُنفِقُونَ إِلاَّ وَهُمْ كَارِهُونَ ﴾**.

[التوبة: ٥٤].

والمطلوب من العبد إدراك مقتضى كونه عبداً لله - تعالى -، ومعرفة مقدار قيمة متع الحياة الدنيا بالنسبة لنعيم الآخرة، وعندها سيعظم فرحه،

---

(١) انظر: في ظلال القرآن، لسيد قطب: (٣/ ١٦٦٥).

ويتضاعف رضاه بتصدقه بماله وإنفاقه له في وجوه البر طمعاً في نيل رضا الله - عز وجل - وتحصيل رحمته وإحسانه.

الرسالة السابعة : لا تبخل على نفسك :

يظن بعض المتصدقين أنهم بصدقتهم ينفعون غيرهم، ويحسنون إلى سواهم، وهذا الظن وإن كان حقاً إلا أنه من أعظم معوقات الصدقة ؛ لأن صاحبه يدخل في صراع مع شحِّ نفسه يعيقه في أحيان كثيرة عن الجود والعطاء. والسبيل لتلافي ذلك يكمن بقيام العبد بتحليل الأمر من زواياه المختلفة، وعند ذلك سيجد أنه المستفيد الأكبر، وأنه إن تصدق فإنما يتصدق على نفسه، وإن بخل فإنما يبخل على نفسه، لأن : « الخير والبر في هذه الدنيا مادة الخير والبر في دار القرار وبذره وأصله وأساسه»[1] كما قال - تعالى - : ﴿ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ﴾ [المزمل : ٢٠]، وقال - سبحانه - : ﴿ هَا أَنتُمْ هَؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنتُمُ الْفُقَرَاءُ ﴾ [محمد : ٣٨]، والتي قال سيِّد عَقِب إيرادها : « ﴿ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِ ﴾ فما يبذله الناس إن هو إلا رصيد لهم مذخور، يجدونه يوم يحتاجون إلى رصيد، يوم يحشرون

---

(١) تيسير الكريم الرحمن، للسعدي : ص (٨٢٨).

مجردين من كل ما يملكون، فلا يجدون إلا ذلك الرصيد المذخور، فإذا بخلوا بالبذل فإنما يبخلون على أنفسهم، وإنما يقللون من رصيدهم، وإنما يستخسرون المال في ذواتهم وأشخاصهم، وإنما يحرمونها بأيديهم! أجل، فالله لا يطلب إليهم البذل، إلا وهو يريد لهم الخير، ويريد لهم الوفر، ويريد لهم الكنز والذخر، وما يناله شيء مما يبذلون، وما هو في حاجة إلى ما ينفقون» [١].

ومتى استشعر العبد ذلك فإنه سيتجاوز هذه العقبة، وعندها ستكثر صدقته، ويعظم إنفاقه في محاب الله - تعالى - ومراضيه.

الرسالة الثامنة: تصدق بالحلال الطيب:

لله - عز وجل - صفات الكمال والجلال، وهو - تعالى - منزه عن النقائص والعيوب فلا يقبل - سبحانه - من عبده، ولا ينبغي أن يتقرب إليه وينفق في مراضيه إلا بما يناسبه ويليق بجلاله من الأموال الحلال، كما قال ﷺ: «لا يقبل الله - عز وجل - صدقة من غلول» [٢]، وقال ﷺ: «من جمع مالاً حراماً ثم تصدق به لم يكن له فيه أجر، وكان إصره عليه» [٣]، وقال ﷺ: «أيها الناس، إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً» [٤]،

---

(١) في ظلال القرآن، لسيد قطب: (٦/ ٣٣٠٣).

(٢) مسلم: (١/ ٢٠٤)، رقم: (٢٢٤)، سنن أبي داود: (١/ ٤٨)، رقم: (٥٩) واللفظ له.

(٣) صحيح ابن حبان: (٨/ ١٥٣) رقم: (٣٣٦٧) وحسن إسناده المحقق.

(٤) مسلم: (١/ ٧٠٣) رقم: (١٠١٥).

وقال ﷺ: «من تصدَّق بعدل تمرة من كسب طيب - ولا يقبل الله إلا الطيب - فإن الله يتقبلها بيمينه، ثم يربيها لصاحبها كما يربي أحدكم فُلوَّه، حتى تكون مثل الجبل»(١)، والمراد بالطيِّب هنا الحلال (٢)، قال القرطبي: «وإنما لا يقبل الله الصدقة بالحرام لأنه غير مملوك للمتصدق، وهو ممنوع من التصرف فيه، والمتصدق به متصرف فيه، فلو قبل منه لزم أن يكون الشيء مأموراً منهياً من وجه واحد، وهو محال»(٣).

وليس هذا فحسب؛ بل إن اللائق بالعبد ألاَّ يتصدق إلا بخيار ماله والطيب منه امتثالاً لقوله - تعالى -: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَلا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِآخِذِيهِ إِلاَّ أَن تُغْمِضُوا فِيهِ﴾ [البقرة: ٢٦٧] أي: أنفقوا من جيد ما كسبتم ومختاره(٤)، قال الطبري: «... ويعني - جل ثناؤه - بـ (الخبيث) الرديء غير الجيد، يقول: لا تعمَّدوا الرديء من أموالكم في صدقاتكم فتصدَّقوا منه، ولكن تصدَّقوا من الطيِّب الجيد»(٥).

ولما رواه عوف بن مالك - رضي الله عنه - قال: «دخل علينا رسول

(١) أخرجه البخاري رقم: (١٤١٠)، الفتح: (٣/ ٣٢٦).

(٢، ٣) فتح الباري، لابن حجر: (٣/ ٣٢٨).

(٤) انظر: جامع البيان، للطبري: (٥/ ٥٥٥)، تفسير القرآن العظيم، لابن كثير: (١/ ٦٩٧).

(٥) جامع البيان، للطبري: (٥/ ٥٥٩).

الله ﷺ المسجد وبيده عصا، وقد علق رجل قناً حشفاً فطعن بالعصا في ذلك القنو، وقال: «لو شاء ربُّ هذه الصدقة تصدَّق بأطيب منها. وقال: إن ربَّ هذه الصدقة يأكل الحشف يوم القيامة»(١).

والظاهر أن النهي عن التصدق بالرديء جاء لأن ذلك ناشئ عن حب الدنيا والتعلق بها وضعف اليقين بوعد الله بالخلف، وخشية الإملاق ونحوها من الدوافع التي مردها إلى الشيطان كما قال - تعالى -: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلاً وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦٨] أي: يُخوِّفكم الفقر، ويُثير في نفوسكم الحرص والشحَّ والتكالب(٢).

ولا يتوقف الأمر على مطالبة العبد بالحلال الطيب؛ إذ حثَّ الله عباده على الإنفاق في سبيله والتصدق في مراضيه بما يحبونه إن هُم أرادوا نيل البر - وهو جماع الخير - فقال - سبحانه -: ﴿لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: ٩٢] أي: لن تصلوا إلى العمل الصالح وتبلغوا إليه حتى تكون نفقاتكم من الأموال التي تحبونها(٣).

---

(١) سنن أبي داود: (٢/ ١١١) رقم: (١٦٠٨)، وحسنه الألباني في صحيح أبي داود: (١/ ٣٠٢) رقم: (١٤١٩).

(٢) انظر: في ظلال القرآن، لسيد قطب: (١/ ٣١٢).

(٣) انظر: فتح القدير، للشوكاني: (١/ ٥٣٦).

الرسالة التاسعة: تأمل في حال من تعطي:

يعظم أجر الصدقة بعظم منفعتها، وكثرة المستفيدين منها، وكثير من المتصدقين لا ينقصه أثناء تصدقه النية الصالحة والقصد الحسن؛ بل ينقصه البصيرة التي تريه مواطن الانتفاع الأعظم بنفقته نوعاً أو كثرةً.

ونحن في عصرٍ اتسعت فيه رقعة الحاجة وكثر فيه - بشكل ملفت - أعداد طالبي الصدقة - بحق وبباطل - مما يتطلب من المتصدقين مزيد تحري وتلمس لحاجات الناس حتى يتمكنوا من وضع صدقاتهم في يد من هو أعظم اضطراراً إليها، وأكثر استفادة منها، وعلى هيئة يجعل من نفعها متعدياً، وبحالةٍ تُكْثِر دائرة المستفيدين منها.

وقد دلّت على مشروعية ذلك نصوص الشرع، ومنها: قوله - عز وجل - في سياق الحث على إطعام المحتاجين: ﴿أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ﴾ [البلد: ١٦] «أي: قد لزق بالتراب من الحاجة والضرورة»[١]، وقوله ﷺ: «من نفَّس عن مؤمن كُربة من كرب الدنيا نفَّس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسَّر على معسر يسَّر الله عليه في الدنيا والآخرة، ومن ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه»[٢]، وقوله ﷺ: «وإن أحب الأعمال إلى الله سرور

(١) تيسير الكريم الرحمن، للسعدي: ص(٨٥٥).

(٢) مسلم: (٣/ ٢٠٧٤)، رقم: (٢٦٩٩).

تدخله على مؤمن: تكشف عنه كرباً، أو تقضي عنه ديناً، أو تطرد عنه جوعاً»[1].

ومعلوم أن معاونة هؤلاء المضطرين والتنفيس عن أولئك المعْوَزين - الذين تناولت الحديث عنهم هذه النصوص - لا يكون إلا بعد البحث عنهم، والتأمل في واقعهم، والتحري عن أحوالهم.

الرسالة العاشرة: الأقربون أولى بصدقتك:

من أحسن البرِّ وأوثقه، ومن أعظم المعروف وأولاه: تعاهد الأقارب، والإحسان إليهم، والتصدق على محتاجهم؛ لما في ذلك من تحقيقٍ لمروءة النفس، وإكرام المرء لأسرته، وصلته لرحمه، وتقويته لوشائج النسب والقربى[2].

يدل لذلك قوله - تعالى -: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ﴾ [البقرة:١٧٧]، وقوله - سبحانه - في سياق الحث على الإطعام: ﴿يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ﴾ [البلد: ١٥]، وقوله ﷺ: «أبدأ بنفسك فتصدق عليها، فإن فضل شيء فلأهلك، فإن فضل عن أهلك شيء فلذي قرابتك، فإن فضل عن ذي قرابتك شيء

---

(١) قضاء الحوائج، لابن أبي الدنيا: ص (٤٠) رقم: (٣٦)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع: (١/ ٩٧)، رقم: (١٧٦).

(٢) في ظلال القرآن، لسيد قطب: (١/ ١٦٠).

فهكذا وهكذا» [١]، وقوله ﷺ لامرأة ابن مسعود - رضي الله عنهما - حين أرادت أن تتصدق بحليها: «زوجك وولدك أحق مَن تصدقت به عليهم» [٢].

ولأولوية هذا الأمر وجلالته قال النبي ﷺ لأبي طلحة حين تصدق بحديقة بيرحاء، وكانت أحب أمواله إليه: «بخ، ذلك مال رائح، ذلك مال رائح، قد سمعتُ ما قلتَ فيها، وأرىٰ أن تجعلها في الأقربين. قال: أفعل يا رسول الله. فقسمها أبو طلحة في أقاربه وبني عمه» [٣].

وجعل ﷺ الصدقة علىٰ ذي الرحم صدقة وصلة، وأخبر بأن فاعل ذلك يستحق الثواب لأجل صلته الرحم سوىٰ ما يستحق بالصدقة، فقال ﷺ: «إن الصدقة علىٰ المسكين صدقة، وإنها علىٰ ذي الرحم اثنتان: صدقة وصلة» [٤]، وقوله ﷺ لامرأتين جاءتا تسألان عن النفقة علىٰ أزواجهما وأيتام في حجورهما: «لهما أجران: أجر القرابة وأجر الصدقة» [٥].

---

(١) مسلم: (١/ ٦٩٢، ٦٩٣) رقم: (٩٩٧).

(٢) أخرجه البخاري رقم: (١٤٦٢)، الفتح: (٣/ ٣٨١).

(٣) أخرجه البخاري رقم: (٢٣١٨)، الفتح: (٤/ ٥٧٥).

(٤) المسند، لأحمد: (٢٦/ ١٦٦) رقم: (١٦٢٢٧)، صحيح ابن خزيمة: (٤/ ٧٧) رقم: (٢٣٨٥)، صحيح ابن حبان: (٨/ ١٣٢) رقم: (٣٣٤٤)، واللفظ له، وصححه المحقق.

(٥) المسند، لأحمد: (٦/ ٣٦٣)، صحيح ابن حبان: (١٠/ ٥٨)، رقم: (٤٢٤٨)، وصححه المحقق.

ويتأكد فضل الصدقة على القريب إذا كان مبغضاً للمتصدق ومعادياً له، يدل لذلك قوله ﷺ: «أفضل الصدقة على ذي الرحم الكاشح[١]»[٢]؛ لما في ذلك من لمِّ الشمل، وبثِّ المودة، ودفع البغض والعداوة، والبعد عن القطيعة.

وهذا الفضل للصدقة على القريب أمر أغلبي في حال تقارب الحاجة وتعدي النفع، ولا يلزم منه أن تكون الصدقة عليه أفضل مطلقاً إذ الأمر مرتبط بالمصلحة ومقدار الحاجة ومدى الانتفاع من الصدقة، ولذا نصَّ جماعة من أهل العلم على أن البعيد إذا كان أكثر حاجة أو كان التصدق عليه متعدي النفع بخلاف القريب فإن الصدقة عليه في هذه الحالة أولى وأفضل. وهذا هو الظاهر، والله أعلم[٣].

الرسالة الحادية عشرة: استثمر الأحوال والأزمنة والأمكنة التي تفضل فيها الصدقة:

تمر على العبد أحوال وأوقات يعظم فيها أجر الصدقة، ويتهيأ له الإنفاق في أماكن مباركة يضاعف فيها الثواب. ولعلَّ من الأحوال التي

---

(١) الكاشح: المبغض المعادي، انظر: التمهيد، لابن عبد البر: (١/٢٠٧).

(٢) المسند، لأحمد: (٥/٤١٦)، صحيح ابن خزيمة: (٤/٧٤) رقم: (٢٣٨٦)، وصححه الألباني في صحيح الجامع: (١/٢٤٩) رقم: (١١١٠).

(٣) انظر: فتح الباري، لابن حجر: (٥/٢٥٩)، فيض القدير، للمناوي: (٤/٢٣٧).

يضاعف فيها أجر البذل وأعمال البر : أوقات الأزمات والمحن وشدة الجوع والحاجة، والتي حثَّ الشرع على البذل والإنفاق فيها كما في قوله ـ تعالى ـ: ﴿فَلا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ﴾ [البلد:١١-١٤] ﴿ذِي مَسْغَبَةٍ﴾ أي ذي مجاعة، عزيز فيه الطعام، شديد فيه شح الناس بالمال، خشية امتداد زمن المجاعة، وتعدي الحاجة غيرهم إليهم [١]. وكما في قوله ﷺ حين احتاج الناس إلى الماء: «من حفر بئر رومة فله الجنة» [٢].

ومنها : أوقات الحوادث المخيفة كالكسوف، والأمور المهمة كالغزو، والتي جاءت النصوص بالحث على الصدقة والإنفاق فيها، ومنها: قوله ﷺ لأصحابه حين كسفت الشمس: «فإذا رأيتم ذلك فادعوا الله وكبِّروا وصلُّوا وتصدَّقوا» [٣]، وقوله ﷺ حاثاً أصحابه على تجهيز جيش العسرة: «مَنْ جهَّز جيش العسرة فله الجنة» [٤]، وقوله ﷺ: «مَنْ جهَّز غازياً في سبيل الله فقد غزا، ومن خلف غازياً في سبيل الله بخير فقد غزا» [٥].

---

(١) انظر : جامع البيان، للطبري : (٢٤/ ٤٤٢) ، فتح القدير، للشوكاني : (٥/ ٦٣٩)، التحرير والتنوير، لابن عاشور : (٣٠/ ٣٥٨) .

(٢) أخرجه البخاري رقم: (٢٧٧٨)، الفتح: (٥/ ٤٧٧).

(٣) أخرجه البخاري رقم: (١٠٤٤)، الفتح: (٢/ ٦١٥) .

(٤) أخرجه البخاري رقم: (٢٧٧٨)، الفتح: (٥/ ٤٧٧) .

(٥) أخرجه البخاري رقم: (٢٨٤٣)، الفتح: (٤/ ٥٩).

ومن الأزمنة الفاضلة التي يُضاعَفُ فيها ثواب الصدقة: عشر من ذي الحجة، والتي قال عنها النبي ﷺ: «ما من أيام العمل الصالح فيهنَّ أحب إلى الله من هذه الأيام العشر. فقالوا: يا رسول الله، ولا الجهاد في سبيل الله؟ فقال رسول الله ﷺ: ولا الجهاد في سبيل الله، إلا رجل خرج بنفسه وماله فلم يرجع من ذلك بشيء»[(١)]، ومنها: شهر رمضان، والذي يصف ابن عباس - رضي الله عنهما - النبي ﷺ فيه، فيقول: «كان النبي ﷺ أجود الناس بالخير، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل. . . فإذا لقيه جبريل - عليه السلام - كان أجود بالخير من الريح المرسلة»[(٢)] و«وجه التشبيه بين أجوديته ﷺ بالخير وبين أجودية الريح المرسلة أن المراد بالريح: ريح الرحمة التي يرسلها الله - تعالى - لإنزال الغيث العام الذي يكون سبباً لإصابة الأرض الميتة وغير الميتة، أي: فيعمُّ خيرُه وبرُّه من هو بصفة الفقر والحاجة، ومن هو بصفة الغنى والكفاية أكثر مما يعمُّ الغيث الناشئة عن الريح المرسلة ﷺ»[(٣)].

ومن الأمكنة المباركة التي يُضاعَف فيها أجر البذل والصدقة وأعمال البِرِّ: مكة، والمدينة، وبيت المقدس. وليس المقصود تأخير العبد لصدقته

---

(١) أخرجه البخاري رقم: (٩٦٩)، الفتح: (٢/ ٥٣٠)، جامع الترمذي: (٣/ ١٣٠) رقم: (٧٥٧)، واللفظ له.

(٢) أخرجه البخاري رقم: (١٩٠٢)، الفتح: (٤/ ١٣٩).

(٣) فتح الباري، لابن حجر: (٤/ ١٣٩) نقلاً عن الزين بن المنيِّر.

حتى تحل تلك الأحوال والأزمان أو يقدم على تلك الأماكن؛ لأن الصدقة مشروعة في كل وقت، والمسارعة في الخيرات أفضل بلا شك، ولكن المراد الاستكثار من الجود والبذل والتصدق فيها [١].

على أنه إذا تعارض شرف الزمان أو المكان مع شرف الحال قدم شرف الحال؛ لأن الصدقة إنما شرعت لدفع الحاجة، والقاعدة: أن الفضل إذا تعلق بذات العبادة كانت مراعاته أولى من الفضل الذي يتعلق بزمانها أو مكانها [٢]. والله أعلم.

الرسالة الثانية عشرة: أفضل الصدقة جُهد المُقِلّ:

حرص الإسلام على توسيع دائرة البذل والتصدق، وعدم قصر ذلك على فئة الأغنياء، تربية للأمة على الثقة بالله، والمشاركة في الخير، والتعلق بالآخرة، والزهد بالدنيا وعدم الركون إلى متعها، وبثاً للمودة، وتعميقاً للتكافل الاجتماعي بين أفراد المجتمع المسلم.

وحرصاً على تحقيق هذه المعاني نجد النبي ﷺ يحث قليلي ذات اليد على الصدقة مخبراً بأن أفضلها ما كان من مقلٍّ بعد كفافه لمن يعول، وذلك حين سأله أبو هريرة - رضي الله عنه - قائلاً: «يا رسول الله، أي

(١) انظر: مغني المحتاج، للشربيني: (٣/ ١٢١)، الشرح الممتع، لابن عثيمين: (٦/ ٢٧٣، ٢٧٤).
(٢) انظر: الشرح الممتع، لابن عثيمين: (٦/ ٢٧٥).

الصدقة أفضل؟، قال: جهد المقل، وابدأ بمن تعول»(١)، ويرغبهم ﷺ في الإنفاق فيقول: «من استطاع منكم أن يستتر من النار ولو بشق تمرة فليفعل»(٢)، ويقول ﷺ: «سبق درهمٌ مائةَ ألف، قالوا: يا رسول الله، كيف يسبق درهم مائة ألف؟، قال: رجل كان له درهمان فأخذ أحدهما فتصدق به، وآخر له مال كثير فأخذ من عرضها مائة ألف»(٣)، ونجده يحث أصحابه على الصدقة حين جاءه قوم حفاة عراة كلهم من مضر قائلاً: «تصدَّق رجل من ديناره، من درهمه، من ثوبه، من صاع بره، من صاع تمره، - حتى قال - ولو بشق تمرة»(٤).

ولا يعارض هذا التقعيدُ قولَه ﷺ في حديث حكيم بن حزام - رضي الله عنه -: «أفضل الصدقة - أو خير الصدقة - عن ظهر غنى»(٥)؛ لأنه - دفعاً للتعارض بين النصوص - ليس المراد بالغنى هنا الغنى الواسع، بل ما زاد على كفاية العبد نفسه ومن يعول(٦).

---

(١) المسند، لأحمد: (١٤/٣٢٤)، رقم: (٨٧٠٢)، سنن أبي داود: (٢/ ٣١٢)، رقم: (١٦٧٧)، صحيح ابن حبان: (٨/ ١٣٤) رقم: (٣٣٤٦)، وهو حديث صحيح.

(٢) مسلم: (١/ ٧٠٣)، رقم: (١٠١٦).

(٣) المسند، لأحمد: (١٤/ ٤٩٧) رقم: (٨٩٢٩)، صحيح ابن خزيمة: (٤/ ٩٩) رقم: (٢٤٤٣)، واللفظ له، صحيح ابن حبان: (٨/ ١٣٥) رقم: (٣٣٤٧). وإسناده حسن.

(٤) مسلم: (١/ ٧٠٤)، رقم: (١٠١٧).

(٥) أخرجه البخاري رقم: (١٤٢٧)، الفتح: (٣/ ٣٤٥)، مسلم: (١/ ٧١٧) رقم: (١٠٣٤) واللفظ له.

(٦) انظر: الديباج، للسيوطي: (٣/ ١١٤)، كشاف القناع، للبهوتي: (٢/ ٢٩٩)، فيض القدير، للمناوي: (٢/ ٣٦).

وعلىٰ القول بأن المراد بالصدقة عن ظهر غنىٰ ما بقي صاحبها بعدها مستغنياً بما بقي معه، مستظهراً به علىٰ مصالحه وحوائجه [1]، فلا تعارض أيضاً؛ لأن ذلك باعتبار اختلاف الأشخاص وتفاوت أحوالهم في الصبر علىٰ الفاقة والشدة والاكتفاء بأقل كفاية، إذ المخاطب بحديث: «. . جُهد المقلّ، وابدأ بمن تعول» أبو هريرة - رضي الله عنه - وهو من المقلين وأهل الصفَّة، فأجابه النبي ﷺ بما يناسبه ويقتضيه حاله، والمخاطب بحديث: «أفضل الصدقة ماكان عن ظهر غنىٰ» حكيم بن حزام - رضي الله عنه - وهو من أشراف الناس وعظماء العرب وأغنيائهم؛ فخوطب بما يناسبه ويقتضيه حاله [2].

ومعلوم أن العباد يختلفون؛ إذ منهم من رزقه الله صبراً وتحملاً لمضض الحياة وشدة المشقة، ومنهم من لو فني ما بيده كان ذلك مدعاة لفتنته وندمه علىٰ بذله وتصدقه، فيكون بذلك قد أذهب ماله، وأبطل أجره، وتعرض للفتنة، وربما صار عالة علىٰ الآخرين، ولذا نجده ﷺ لم ينكر علىٰ الصدِّيق خروجه من ماله أجمع [3] لما علمه من صحة نيته، وقوة يقينه، وعظم صبره وقدرته علىٰ الكسب علىٰ نفسه وعياله، في الوقت الذي أبىٰ علىٰ رجل أعتق عبداً ولا يملك غيره، إذ باعه له وأعطاه ثمنه،

(١) انظر: شرح مسلم، للنووي: (٧/ ١٧٦).

(٢) انظر: الديباج، للسيوطي: (٣/ ١١٤)، فيض القدير، للمناوي: (٢/ ٣٦).

(٣) انظر: البخاري - فتح: (٣/ ٣٤٥).

وقال له : « ابدأ بنفسك فتصدق عليها ، فإن فضل شيء فلأهلك ، فإن فضل عن أهلك شيء فلذي قرابتك ، فإن فضل عن ذي قرابتك شيء فهكذا وهكذا »[١] .

كما أنكر على رجل أعطاه ثوبين من الصدقة ، ثم حثَّ النبي ﷺ على الصدقة فجاء الرجل فطرح أحد الثوبين ، فصاح به ﷺ وقال : « خذ ثوبك »[٢] .

فحري بالعبد غنياً كان أو فقيراً - مادام يجد فائضاً عن كفايته وكفاية من يعول - أن يتصدق ، ولا يحرم نفسه من هذا الخير العميم الذي سيجده أحوج ما يكون إليه إذا قدم على ربه ، نسأل الله للجميع النجاة والسلامة .

وقبل أن يجف المداد وأدع القلم : لا بد من تذكير أهل الخير والإحسان بأن بإمكانهم عبر نفقاتهم الكثيرة : إدخال كثير من التحسين والتطوير على مسيرة العمل الخيري والدعوي عبر وضع شروط ومعايير محددة للجودة ؛ بحيث لا يُدعم إلا من يحققها ويلتزم بتنفيذها ، وعبر الاهتمام بصرف جزء من صدقاتهم على التطوير الإداري والتأهيل

---

(١) مسلم : (١/ ٦٩٢) رقم : (٩٩٧) .

(٢) سنن أبي داود : (٢/ ٣١١) رقم : (١٦٧٥) ، وحسنه الألباني في صحيح أبي داود : (١/ ٣١٤) رقم : (١٤٦٩) .

المهاري للقائمين على الأعمال الخيرية والدعوية بدلاً مما هو مشاع اليوم من اغترار كثير من المحسنين ووسائطهم بالمسميات والشعارات، وطريقة العرض، وأسلوب التسويق للمشاريع المختلفة، والمعرفة الشخصية، وقوة العلاقة وعمق التجانس مع القائمين عليها أكثر من الاهتمام بحقيقة المشاريع المقدمة ومدى الجدوى الخيرية والدعوية من إقامتها.

ولست أنكر بذلك أهمية الأمانة، والصدمات الكثيرة التي تلقاها كثير من المحسنين نتيجة اغترارهم بالأشكال، وضعف تحريهم عن طالبي الصدقة، ولكني أؤكد على وجوب مراعاة أمر آخر لا يقل أهمية عن الأمانة، وهو القوة، والتأكد من امتلاك أصحاب المشاريع للقدرة والمهارات اللازمة لتنفيذ مشاريعهم المقدمة للمحسنين بجودة - على الأقل - إن لم تكن عالية فمناسبة.

ولذا، فالمطلوب من المحسنين المزيد من التحري عن هذا الأمر، والنزول الميداني - لهم أو لوكلائهم - لمتابعة المشاريع التي يقومون بتمويلها للتعرف على مدى الانضباط الشرعي والمنهجي من قبل القائمين على المشروع على أرض الواقع، ولقياس جودة التنفيذ والتشغيل، وللبحث عن فرص ومشاريع هي أولى بالدعم، ولكن حال دون دعمها عدم قدرة القائمين عليها على الوصول إلى أهل الخير إلى مواقعهم لعرض

مشاريعهم عليهم أو عدم قدرتهم على إقناعهم بها ورقياً أو شفهياً، ومعلوم أن بعض الناس قد يكون ألحن بالحجة من بعض.

كما أن المطلوب منهم إدراك أن حوائج العباد نعم من الله - عز وجل - يسوقها إليهم، فالواجب استغلالها، وعدم التفريط فيها، وما أجمل قول عبد الله بن طاهر :

ليس في كل ساعةٍ وأوان   تتهيأ صنائعُ الإحسانِ

فإذا أمكنَتْ تقدمتَ فيها   حذراً من تعذر الإمكانِ [١]

نسأل الله - تعالى - أن يستعملنا في طاعته، وأن يوفقنا لكل خير، ويصرفنا عن كل شر، إنه قريب مجيب .

وختاماً :

فقد كانت هذه الرسالة ثمرة بحث متواضع أسأل الله أن يقبلها، وأن يغفر لكاتبها وقارئها، ومن كان سبباً في نشرها، على أن ما كان فيها من صواب فهو من توفيق الله وإنعامه، وما كان فيها من خطأ فهو من النفس والشيطان، والله ورسوله منه بريئان، والله أعلم.

وصلى على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

---

(١) شعب الإيمان، للبيهقي : (١٣/٣٦٩)، رقم : (٧٢٨٦) .

فهرس المحتويات

الموضوع | الصفحة

مطابع أضواء البيان ـ الرياض ـ ت: ٤٩٥٥٦٩٤

ردمك: ٨ ـ ٢٩ ـ ٧١٨ ـ ٩٩٦٠